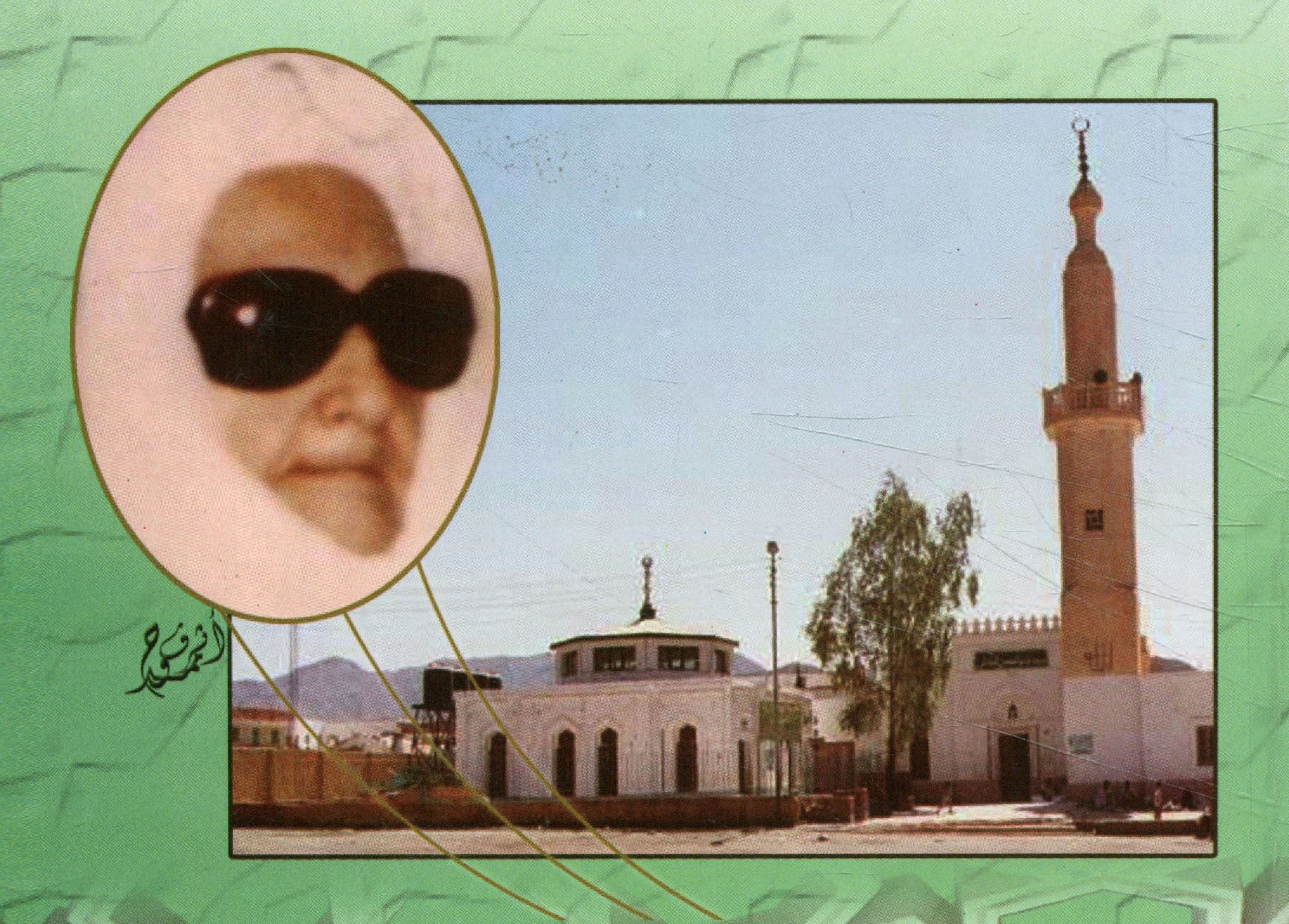
رابعة القرن العشرين

الشيخة زكية

العابدة ، الناسكة ، سليلة بيت النبوة
رضى الله عنها



محمد رجائى جودة الطحلاوى

رابعة القرن العشرين

الشيخة زكية

رضي الله عنها

العابدة، الناسكة، سليلة بيت النبوة

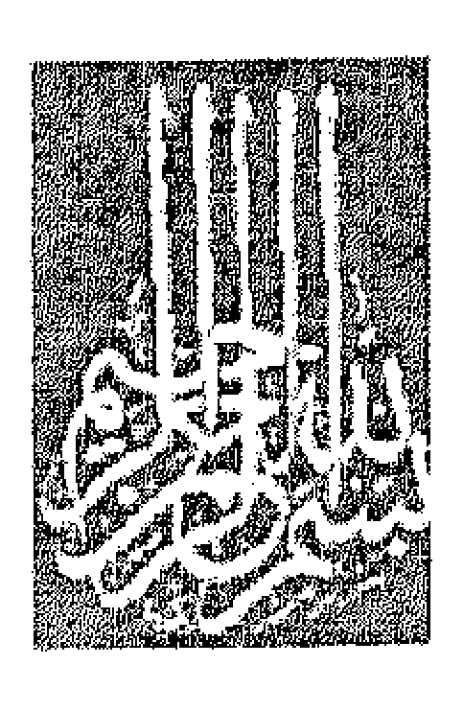
إعداد الفقير إلي الله

محمد رجائي جودة الطحلاوي

أستاذ بكلية الهندسة جامعة أسيوط

رئيس جامعة أسيوط سابقًا – محافظ أسيوط سابقًا

أسيوط ٢٠١٢م





الشيخة زكية عبد المطلب بدوي

"**اللهم اجعل طعامي لهم شفاء**": هذه هي كلمات العارفة بالله الحاجة زكية عبد المطلب بدوي، وهي آخر عهدنا من العارفات في العصر الحديث.

شكر واجب

يشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل للزملاء والأصدقاء والأحباب الذين تفضلوا بتزويدي بالمعلومات عن سليلة بيت النبوة الشيخة زكية عبد المطلب بدوي، ومن المفارقات الطريفة أنه تبين لي أن الشيخة زكية عاشت عامين من عمرها في مدينة منفلوط بصحبة أخيها ضابط الشرطة الهمام الذي أصبح بعد عشرين عاما مديرا لأمن محافظة دمياط.

وأجد لزاما علي أن أخص بالشكر المحب المريد السيد / محمد عبد اللطيف الباز ابن المنصورة وابن الشيخة زكية الروحي، الذي نذر حياته لخدمتها في حياتها وخدمة ساحتها بعد مماتها، كما كان لي الشرف أن التقي ابنتها الشيخة نفيسة وحفيدتها السيدة الفضلي زينب.

كما تفضل زميلي وصديقي الدكتور أحمد شوقي إبراهيم أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة أسيوط بمراجعة هذا الكتاب مراجعة تاريخية دقيقة، وزاد من فضله أن سمح لي باقتباس فصلين من أبحاثه وتلخيصهما في الكتاب، فله مني عظيم التقدير والامتنان.

وفيما يلي قائمة بالإخوة والأخوات اللذين لم يبخلوا علي بمعلوماتهم عن الحسيبة النسيبة الشيخة زكية، مرتبون أبجديًا:

- الدكتور / **أحمد إبراهيم رزق**، أستاذ هندسة التعدين بكلية الهندسة بجامعة أسيوط.
- الدكتور / **أحمد شوقي إبراهيم**، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة أسيوط.
- المهندس / **رمضان عبد الباري**، المدير بشركة أسمنت أسيوط سابقا.
- السيدة / **زينب محمود**، الأخصائية الاجتماعية، حفيدة الشيخة زكية.
- اللواء / **عاطف شريف** مساعد وزير الداخلية سابقا.
- الكيميائي / **عبد البديع الباشتلي** رئيس والعضو المنتدب لشركة لب الورق بادفو.
- الدكتور / **عبد الله عبد المجيد**، أستاذ الفيزياء بكلية العلوم بجامعة أسيوط.
- الدكتور / **محمد حسين أمين**، أستاذ الهندسة الكهربائية، نائب رئيس جامعة جنوب الوادي سابقا.
- الحاج / **محمد السيد البهنساوي**، أمين نقابة البصريين بمصر العربية.

- المرحوم اللواء شرطة / **محمد الشافعي**، مساعد وزير الداخلية سابقا.
- السيد / **محمد عبد اللطيف الباز** المشرف علي ساحة الشيخة زكية بقرية سيدي أبي الحسن الشاذلي.
- السيد / **محمود عبد الغني الخطيب** المدير بجامعة أسيوط سابقا.
- الدكتور **محمد محروس فرغلي**، أستاذ الهندسة الكهربائية بكلية الهندسة جامعة أسيوط.
- الدكتور / **نبيل عبد الجيد** أستاذ الهندسة الكهربائية بكلية الهندسة جامعة أسيوط.
- المهندسة / **نوال محمد علي**، مديرة الشئون الهندسية بمجلس مدينة مرسي علم.

كما أشكر الزميل والصديق الدكتور "**حافظ شمس "الدين عبد الوهاب** أستاذ الجيولوجيا بكلية العلوم جامعة عين شمس والخبير بمجمع اللغة العربية علي ملاحظاته القيمة، كما لا أنسي شكر المهندس **جلال الدين حسن حامد** مدير عام مطبعة جامعة أسيوط والأخصائي الفنان **أشرف ممدوح** علي مجهودهم أثناء إعداد الكتاب.

وقد أصرّ أخي الرجل الصالح الحاج **محمد السيد البهنساوي**، أمين نقابة البصريين بمصر، - ومن أبناء قرية البهنسا، بمحافظة المنيا، والمحب لآل بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم - علي أن يطبع الكتاب علي نفقته الخاصّة، ابتغاء مرضاة الله وحبًّا في الشيخة زكية وسيّدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي، جزاه الله عنّا كلّ خير ومتّعه بالصحة والسعادة.

وأخيرا وليس آخرا أتقدم بخالص الشكر للأستاذ الدكتور **مصطفي محمد كمال** رئيس جامعة أسيوط الذي تفضّل ووافق علي طباعة الكتاب في مطبعة جامعة أسيوط، فله ولأسرة المطبعة خالص التقدير والامتنان.

رجب ١٤٣٣ هجريّة	الفقير إلي الله
الموافق مايو ٢٠١٢ ميلاديّة	محمد رجائي جودة الطحلاوى

المحتوي

الأشكال

المقدمة

إنّ "التصوّف" هو روح الإسلام وجوهره، ومدرّسته العُليا، التي خرّجت أعدادًا كبيرة من الأساتذة والمربّين، والدعاة والهداة من الرجال والنساء من أهل الصدق والإخلاص، ولا تزال تفعل منذ بعث الله محمّدًا هاديًا ومبشرًا ونذيرًا إلي يومنا هذا، والي ما شاء الله (خالد، ٢٠٠٦).

يظن بعض الناس أنّ الصوفيّة قوم كُسالي، وأن التصوّف مظهرٌ من مظاهر الضعف، إلا أنّ سيرة الإمام الشاذلي ومنهجه تهدم هذه الدعوة، كما تقيم الحُجّة علي أدعياء التصوّف الذين يبدون هكذا.

ومن أهم الطرق الصوفيّة: الجعفريّة (نسبة لسيّدي الشيخ صالح الجعفري)، والأحمديّة الإدريسيّة (نسبة لسيّدي أحمد بن إدريس)، والرفاعيّة (نسبة لسيّدي أحمد الرفاعي)، والقادريّة (نسبة لسيّدي عبد القادر الجيلاني)، والطريقة الشاذليّة (نسبة إلي سيّدي أبي الحسن الشاذلي)، وتتفرع من هذه الطرق العديد من الطرق الصوفيّة الأخرى.

والطريقة الشاذليّة هي طريقة صوفيّة تنسب إلي "أبي الحسن الشاذلي"، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفيّة، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المُريد أو السالك وطرق تربيته، إضافة إلي اشتهارهم بالذكر المُفرد "**الله**" أو مُضمرًا "**هو**". ويُفضّلون اكتساب العلوم عن طريق الذّوق، وهو تلقيّ الروح للأسرار الطاهرة في الكرامات وخوارق العادات، كذلك معرفة الله تعالي معرفةً يقينيّةً، ولا يحصل ذلك إلا عن طريق الذوق والكشف. كما أنّ من معتقداتهم سماع الأناشيد والأشعار.

والشيخ الشاذلي كان يدعو ربه أن يُدفنَ في أرض لم يُعْص الله فيها قط، كان يحج كل سنة فلما كان فى آخر سنة خرج فيها قال لخادمه اصطحب فأسًا وقفة وحنوطًا[1]، فقال له الخادم: ولماذا يا سيدى؟ فقال: فى حميثرا سوف ترى،

1 :الحَنُوطُ والحِناطُ هو ما يُخلط من الطّيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصّة (ابن الأثير)

وحميثرا واد صغير يقع علي بعد ١٢٠ كم من مدينة مرسي علم الواقعة علي ساحل البحر الأحمر.جنوب شرق الصحراء الشرقية.

وعندما اقتربت قافلته من وادي حميثرة في الطريق إلي ميناء عيذاب حيث تستقلهم المراكب إلي أرض الحجاز المقدسة ألم به المرض وفاضت روحه الطاهرة إلي بارئها، فدفنه أصحابه في أرض جرداء لم تّرتكب فيها معصية، في بقعة نائية عن العمران قليلا ما يتردد عليها سكان الصحراء (العبابدة) للتزود من ماء بئرها وإن كان عسيرا.

وبعد قرابة ٧٠٠ عامًا جاءت سيدة فضلي من محافظة الدقهلية – اسمها زكية عبد المطلب بدوي – تزور مقام الولي المدفون في قلب الصحراء الشرقية، وكانت قد سمعت الكثير عن مناقبه، وما أن وصلت إلي المقام إلا واستقر رأيها علي إقامة ساحة لخدمة الزائرين، وأخذت تتردد علي وادي حميثرا سنويا، إلي أن شرعت في بناء الساحة وقد حاول الكثيرون إثناءها عن عزمها واقترحوا عليها أماكن أقل حرارة علي ساحل البحر الأحمر، ولكنها أصرت علي رأيها، فقد رأت فيها ببصيرة المؤمن مدينة في المستقبل يفد إليها الناس من كل فج. لقد تحقق الكثير من رؤاها فبعد أن كانت الرحلة إلي حميثرا محفوفة بالمخاطر في طريق وعر مليء بأماكن الغرز صار الآن ممهدًا تقطعه السيارة في ثلاث ساعات من ادفو وساعتين من مدينة أسوان.

يجتمع الأحباب مرتين في السنة: مرة في مولد الشيخ الشاذلي ومرة في مولد الشيخة زكية التي دفنت بجوار شيخها تنفيذا لوصيتها. صارت الأرض الخالية تموج بالبشر وافتتحت المدارس وتخرج فيها الطلاب يدرسون في فروع جامعة أسيوط، واتسعت ساحة الشيخة زكية تستقبل الزوار وتقدم لهم الطعام والإقامة دون مقابل، والكل يدعو لرابعة القرن العشرين الشيخة زكية عبد المطلب بدوي أن يجزيها الله خير الجزاء،

وقد مَنّ الله علينا في الثمانينات برؤية حضرتها ومصافحتها في أحد زيارات سيدي أبو الحسن الشاذلي. نسأل الله أن ينفعنا بمحبة سادتنا والسير علي هداهم لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

إهداء إلى

أحباب سيدي أبي الحسن الشاذلي

وابنته في الله الشيخة زكية بدوي



دور المرأة الديني والاجتماعي في صدر الإسلام[2]

د .أحمد شوقى إبراهيم محمود
كلية الآداب – جامعة أسيوط

:يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ
صدق الله العظيم
الحجرات/١٣

ارتفع الإسلام بقيمة المرأة وكرامتها باعتبارها ابنة وزوجة وأما، وعضوًا فى المجتمع، فالمرأة مكلفة كالرجل، مخاطبة بأمر الله ونهيه مثله، مثابة ومعاقبة كما يثاب هو ويعاقب، وأول تكليف صدر للبشر خوطب به الرجل والمرأة معًا حيث أُسكنا الجنة، وقال الله لهما **(وكلا منها رغدًا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)**[3].

وقد أنصف الإسلام النساء فقرر لهن حقوقًا على الرجال، وقرر عليهن حقوقًا للرجال، وكفل لهن حقوقهن فى أنفسهن وأموالهن وأنزل سورة مدنية من سور القرآن الكريم عدد آياتها ١٧٦ آية سميت سورة النساء، بينت عدة أحكام فيها إنصاف للنساء والاعتراف بحقوقهن، ورفع الجور عنهن[4].

وقد عرفت المرأة فى صدر الإسلام قدرها، ولما سمعت مناديًا يدعو إلى الإيمان سارعت إلى تلبيته، وقد سبقت المرأة أهلها فى الدخول إلى الإسلام، فهذه

---

[2] مختصر عن بحث للدكتور أحمد شوقي إبراهيم نشر في مجلة المؤتمر الرابع للمرأة والبحث العلمي والتنمية في جنوب مصر جامعة أسيوط ٢٠٠٣..

[3] سورة البقرة، آية ٣٥.

[4] **عبد الوهاب خلاف:** نور من القرآن والسنة ص ١٢١ (نشر دار الأنصار، القاهرة ١٩٧٧، مطبعة الحلبي)

فاطمة أخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام، لقد أدمى وجهها عندما علم بإسلامها، وهاجمها بقسوة، وقد أسلم عمر بعد ذلك بعد أن أدرك أن المعنى الذى أحال فاطمة بنت الخطاب إلى ما صارت إليه من القوة والبأس، بحيث تردعه وتأبى عليه بل وتأمره أن يتطهر إذا أراد قراءة الصحيفة لمعنى عظيم، فرأى نفسه الجبارة فى الجاهلية تستسلم لقوة أخته المسلمة.

وهذه رملة بنت أبى سفيان أم المؤمنين: أم حبيبة تدخل فى الإسلام وتهاجر إلى الحبشة قبل أبيها أبو سفيان بن حرب، وقد خرجت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله، فخرج أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة يريدان أن يرداها إلى قريش مرة ثانية[5]، وقد دخل الرجال والنساء فى دين الله، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به والزود عنه، وانتظمت الصفوف فى المسجد النبوى تستوعب الرجال والنساء على سواء[6].

ولقد شاركت المرأة فى الحياة الدينية والاجتماعية مشاركة إيجابية، لأن ذلك نهج قررته الشريعة الإسلامية.

أول من آمن بالله ورسوله" خديجة بنت خويلد"

هى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الأسدية كانت تدعى قبل البعثة بالطاهرة، وكانت ذات شرف ومال، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام للتجارة مع غلام لها يسمى ميسرة وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، وقد أخبر ميسرة السيدة خديجة بما كان من أمر محمد صلى الله عليه وسلم أثناء الرحلة التجارية فأرسلت إليه وقالت له: يا ابن العم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وشرفك فى قومك وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها ليتزوجها.

---

[5] ابن سعد: الطبقات الكبري ج٨ ص ٢٣٠، الطبري ج٢ ص ١٢٥

[6] محمد الغزالي: قضايا المرأة ص ٥٦، طبعة الهيئة العامة للكتاب.

وبعد الزواج بخمسة عشر عامًا نزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم فآمنت به وصدقت ما جاء من الله، وآزرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله.

وقفت السيدة خديجة إلى جانب زوجها المصطفى، تنصره وتشد من آزره، وتعينه على تحمل أقصى ضروب الأذى والاضطهاد سنين كثيرة، فلما قُضّى على بنى هاشم وعبد المطلب أن يخرجوا من مكة إلى شعب أبى طالب بعد أن أعلنت عليهم قريشًا حربًا، وسجلت مقاطعتها لهم فى صحيفة علقت فى جوف الكعبة، لم تتردد السيدة خديجة من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشاركه أعباء ما يحمل من أمر الرسالة، وعلى الرغم من تقدمها فى السن فقد أقامت هناك فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات وهى صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى[٧]. لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى توفيت، وكان يثنى عليها بما لم يثن على غيرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بشروا خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيًا لها فلا يكاد يلمح قلادة لخديجة بعثت بها ابنتها" زينب "فى فداء زوجها الأسير" أبى العاص بن الربيع " حتى يرق قلب الرسول، ويسأل أصحابه أن يمنوا على زينب بإطلاق أسيرها ويردوا عليها قلادتها، وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة، وكثيرًا ما سمعت عائشة رضى الله عنها تقول: ما غرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة[٨].

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيه امرأة فرعون[٩]، وستظل خديجة تتفرد بلقب المسلمة الأولى التى آثرها الله بالدور العظيم فى حياة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيذكر لها المؤرخون ذلك الدور[١٠].

---

[7] ابن سعد: الطبقات ج١ ص ٢٠٩

[8] أبو الفرج: صفوة الصفوة ج٢ ص٨.

[9] ابن حجر: فتح الباري ج٦ ص٤٤٧

[10] الطبري: تاريخ الطبري ج١ ص٥٤٠.

وإن من حكمة الله أن جعل أول من يؤمن بالإسلام امرأة، وقد بذلت مالها وثروتها فى سبيل نشر الدعوة، فكانت تاجرة محنكة وصاحبة مال وقرار وحكمة، واقترنت بخاتم الأنبياء والمرسلين وأنجبت له الأبناء والبنات، فكانت لها سيرتها العطرة فى الحياة ومكانتها العظيمة فى الجنة.

المرأة المرجع الأول للحديث والسنة

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها من كبار المحدثين وحفاظ السنة، وقد امتازت عن غيرها من الصحابة أنها سمعت تلك الأحاديث مشافهة من فم النبى صلى الله عليه وسلم، لذلك انفردت برواية أحاديث لم يروها عنه غيرها من الصحابة ، قال الزهرى :لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل، ويرجع إليها الفضل فى نقل السنة النبوية ونشرها بين الناس، والتى لو لم تنقلها لضاع قسم كبير منها، خاصة بالأمور التى تتعلق بتصرفات النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته ومع أهله، فعن أبى موسى الأشعري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وكان حفظها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعًا للصحابة فيما اختلفوا فيه من الأحاديث للتحقق من سماعها له من الرسول فيجدون عندها الجواب الشافى الذى يحسم الخلاف ويرد الشك، وكان أبو هريرة من عادته الجلوس إلى حجرة عائشة يُسمعها ما يُحّدث به الناس، ثم يقول: "يا صاحبة الحجرة أتنكرين مما أقول شيئًا".[١١]

وقد نشأت رضى الله عنها فى بيت أبى بكر الصديق، وعاشت فى بيت النبوة، ونهلت من المعين النبوى الصافى، وكانت تسمع الآية من القرآن فتحفظها وتضبط مكان نزولها ووقت النزول، حيث تقول: لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وأنى لجارية ألعب: **(بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر)**[١٢]، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده، وبعد انتقالها إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم، حضرت الكثير من نزول سور القرآن، وأن الوحى كان ينزل على النبى صلى الله

---

[11] الذهبي: سير أعلم النبلاء ج٢ ص ٦٠٧.

[12] سورة القمر، آية ٤٦

عليه وسلم فى لحافها. وجمعت إلى حفظ القرآن معرفة معانيه وتفسيره، وساعدها على ذلك معرفتها باللغة العربية وأشعارها وآدابها[١٣].

ومن يتفحص كتب الحديث يلفت نظرة تردد اسم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كراوية عن النبى صلى الله عليه وسلم خاصة فى أبواب الأحكام بمختلف فروعها، فمروياتها طرقت معظم أبواب الأحكام لا سيما ما يتعلق بأعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيتية والمعيشية، كما تميزت عائشة فى مروياتها بنقل أحكام النساء الخاصة بهن ولم يضارعها فى ذلك أحد، وقد روت الكثير من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولها فضل فى نقل السنة الفعلية وتعليمها للناس، كما تعتبر حجرتها الشريفة المدرسة الأولى فى الدنيا التى يؤخذ منها الحديث الشريف، لأنها قامت بإبلاغ أمانة الدين والعلم[١٤]، وكانت وما زالت قدوة النساء والرجال فى العلم والفقه والزهد وسائر أعمال المعروف قال عنها على بن أبى طالب: لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة[١٥]، وقد عاشت لتصحح رأى الناس فى المرأة العربية المسلمة، تعرض لها صورة أصيلة حية وماتت سنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م، بعد أن تركت أعمق الآثار فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للمسلمين.

وكان لأم المؤمنين أم سلمة[١٦] دور كبير فى رواية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان وجودها مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهما بين الصحابة، وتأخر وفاتهما بعد النبى صلى الله عليه سلم من العوامل المهمة التى جعلت الناس يقصدونهما خاصة للسؤال والفتيا، وبعد وفاة أم المؤمنين عائشة تربعت أم سلمة على سدة الرواية والفتيا، لكونها آخر من تبقى من أمهات المؤمنين، فقد عاشت نحو من تسعين سنة وتوفيت سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م، وقد تميزت أم سلمة برجاحة عقلها ومشورتها.

---

[13] ابن حجر: الإصابة ج٨ ص١٨

[14] الطبري: تفسير الطبري ج٦ ص١٣٢

[15] الشيرازي: طبقات الفقهاء ص٢٩

[16] هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية (أبو الحسين: معجم الصحابة ص٨٢.

وكذلك أم المؤمنين أم حبيبة[١٧] التى روت عن النبى عدة أحاديث وروى عنها أخوها معاويـــــة، وابن أخيها عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير، وقد توفيت سنة ٤٤ هـــ / ٦٦٤ م وقبيل موتها دعت عائشة رضى الله عنها، فقالت لها: قد كاد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك، فقالت عائشة: غفر الله لك ذلك كله.

وكان لأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب دور هام فى رواية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت صوامة قوامة، توفيت سنة ٤١ هـــ / ٦٦١م، وقد روت عن النبى صلى الله ليه وسلم وعن أبيها، وروى عنها أخوها عبد الله بن عمر[١٨].

وقد روت أم المؤمنين زينب بنت جحش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث، وقد زوجها الله تعالى لنبيه بنص كتابه العزيز، فقد قال تعالى: **(فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها)**[١٩] بعد أن فارقها زيد ابن حارثة، وكانت تفخر على أزواج النبى، وتقول: زوجنى الله من رسوله وزوجكن أبائكن وأقاربكن. قالت لها عائشة: ما رأيت امرأة خيرًا فى الدين من زينب، أتقى لله، وأوصل رحمًا، وأعظم دقة، وقد توفيت سنة ٢٠ هـــ /٦٤٠ م[20].

أما أم المؤمنين صفية رضى الله عنها[٢١]، فكانت امرأة شريفة عاقلة، ذات حسب ودين، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكرمها ويحنو عليها كلما طالتها غيرة نسائه، وقد حدّث عنها على بن الحسين، واسحق بن عبد الله الحارث وآخرون، وتوفيت سنة ٣٦ هـــ / ٦٥٦ م وكذلك أم المؤمنين جويرية[٢٢]، وقد حدث عنها ابن

---

[17] هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، هاجرت إلي الحبشة بعد إسلامها وقد أرسل النبي من يخطبها له (أبو الفرج: صفوة الصفوة ج٢ ص٤٦/الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٢٣:

[18] ابن حجر: تهذيب التهذيب ج١٢ ص٤٣٩

[19] سورة الأحزاب، آية ٣٧

[20] أبو الفرج: صفوة الصفوة ج٢ ص٤٩

[21] هي صفية بنت حيي بن اخطب تنسب إلي نبي الله يعقوب بن اسحق (ابن هشام السيرة النبوية ج٦ ص٦٣.

[22] جويرية: بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية (الطبري: تاريخ الطبري ج٢ ص١٠٩، ياقوت الحمـــوي معجم البلدان ح٥ ص١١٨.

عباس، وعبد الله بن عمر، عبيد بن السباق وآخرون، وقد خلّدت رضى الله عنها اسمها فى عالم الرواية لتضيف إلى شرف صحبتها للنبى وأمومتها للمسلمين تبليغ الأمة سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد توفيت سنة ٥٦ هـ / ٦٧٥ م وأيضًا أم المؤمنين سودة بنت زمعة، وقد حدث عنها ابن عباس ويحيى بن عبد الله الأنصارى وغيرهما، وقد توفيت بالمدينة سنة ٥٤ هـ / ٦٧٣ م[٢٣].

وقد اضطلعت نساء النبى صلى الله عليه وسلم بدور كبير فى نقل السنة النبوية إلى الأمة الإسلامية، وقد توفى النبى صلى الله عليه وسلم عن تسع من النساء كلهن سمعن منه وشاهدن تفاصيل حياته المعيشية والعبادية على تفاوت بينهن فى الحفظ والرواية، ولولا ذلك لفاتنا الكثير من السنن، لذا نقول أن المرجع الأول للحديث والسنة هو نساء النبى خاصة أم المؤمنين عائشة سيدة المحدثات فى هذه الأمة.

دور أسماء بنت أبى بكر البطولى فى صدر الإسلام

هى أسماء بنت أبى بكر الصديق، أخت عائشة أم المؤمنين لأبيها، زوج الزبير بن العوام حوارى رسول الله وابن عمته، وأم عبد الله بن الزبير، أسلمت مع السابقين وكان ترتيبها فى الإسلام الثامن عشر، ظلت فى مكة تشارك المسلمين فى نشر الدعوة، ومرارة الأذى فى سبيل الله حتى كانت الهجرة إلى المدينة فكان لها ثلاثة مواقف سجلها لها التاريخ بفخار وإعزاز:

الموقف الأول: أنها كانت تخرج بليل تحمل الزاد والماء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها خلال الهجرة النبوية، ولقد شغلها الخوف وأربكتها العجلة عن البحث عن رباط تربط به قربة الماء سفرة الزاد، فأخذت نطاقًا من ثيابها وربطت به القربة والسفرة، فلقبها رسول الله صلى الله عليه سلم" ذات النطاقين "، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين فعلت ذلك قال لها: أبدلك الله نطاقك هذا نطاقين فى الجنة.

أما **الموقف الثانى** : فإنه لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، أتاهم نفر من قريش فيهم أبو جهل، فوقفوا عند باب أبى بكر، فخرجت إليهم فسألوها عن مكان رسول الله وأبى بكر فقالت: لا أدرى، فلطم أبو جهل خدها حتى طرح منها قرضها.

---

[23] ابن هشام: السيرة النبوية ج٢ ص١٧٢، ابن حجر ١: تهذيب التهذيب ج١٢ ص٤٥٥

أما **الموقف الثالث:** فإنه لما خرج رسول الله ومعه أبو بكر إلى الهجرة أخذ أبو بكر ماله كله، قالت أسماء: فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قلت: كلا يا أبتى، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، وأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة البيت التى كان أبى يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيد جدى فقلت: يا أبتى ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه، فقال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، قالت أسماء: لا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكت الشيخ بذلك[٢٤].

ولأسماء بنت أبى بكر مواقف كثيرة مع زوجها، فقد صبرت على الفقر والكفاف معه، محتسبة عند الله أجرها، ولم يمنعها شرف قومها ولا مكانة أبيها أن تقف إلى جانبه، فهى تقول: تزوجت الزبير وماله من مال ولا مملوك ولا شيئ غير فرس ، فكنت أخدمه، وأعلف فرسه، وأسوسه، وأكفيه مئونته، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على ثلثى فرسخ ، وكنت أعجن وأسقى الماء.

شهدت معركة اليرموك مع ابنها وزوجها، وقد روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وخمسين حديثا، اتفق لها البخارى ومسلم على ثلاثة عشر حديثًا، وانفرد البخارى بخمسة أحاديث ومسلم بأربعة، وقد حدث عنها أولادها عبد الله وعروة وابن عباس وغيرهم.

ومن شجاعتها عندما دخل عليها عبد الله بن الزبير ابنها يشكو إليها تفرق أنصاره، قالت له: يا بنى إن كنت على حق فامض لما تؤمن به، قال: أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى، قالت: إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها، وخرج للقتال وعندما قتل أمر الحجاج بن يوسف الثقفى بجثته أن تصلب، وأرسل إلى أمه أسماء فأبت أن تأتيه ، فأعاد إليها الرسول، وقال : لتأتينى أو لأبعثن إليك من يسحبك من قرونك فأبت، وقالت: والله لا آتيه حتى يبعث إلى من يسحبنى من قرونى، فما كان من الحجاج إلا أن رضخ لصلابتها.

---

24 الأصبهاني: حلية الأولياء ج٢ ص٥٦، الذهبي: سيرة أعلام النبلاء ج٢ ص ٢٩٠

وقد بلغ الخليفة عبد الملك بن مروان ما صنع الحجاج مع أسماء ، فكتب إليه يستنكر فعله، ويقول له: مالك وابنة الرجل الصالح؟ وأوصاه بها خيرًا، فدخل عليها الحجاج وقال: يا أماه إن أمير المؤمنين أوصانى بك فهل من حاجة ؟ قالت: لست لك بأم، إنما أنا أم المصلوب على الثنية، وما لى من حاجة، ولم يطل بها المقام بعد ولدها حتى لحقت به عام ٧٣ هـ / ٦٩٢ م، وقد بلغت المائة عام ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل.

المرأة أول الشهداء فى الإسلام

كانت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر أول الشهداء فى الإسلام وأول من بذل روحه لإعلاء كلمة الله، وهى من المبايعات الصابرات اللاتى احتملن الأذى وكانت من الأولين الذين دخلوا فى الدين الإسلامى، وسابع سبعة ممن اعتنقوا الإسلام بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق وبلال وصهيب وخباب وعمار ابنها ، كانت سمية بنت خياط أمة لأبى حذيفة بن المغيرة ثم تزوجت من حليفه ياسر بن عامر وكان من بنى عنس من اليمن، وأنجب منها عمارًا وعندما ظهر الإسلام أسلم ياسر وزوجته سمية وابنه عمار.

عذب آل بنى مخزوم آل ياسر على إسلامهم وهم صابرون على الأذى، وكانوا يخرجون عمار وأباه وأمه إلى الأبطح فى رمضاء مكة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر بهم ويقول لهم: صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة، وقد أغلظت سمية لأبى جهل القول أثناء تعذيبها وطلب منها أن تسب رسول الله فرفضت فطعنها بحربة فى يده فماتت وكانت أول شهداء الإسلام، ولقد استحقت سمية هذا التوصيف الريادى انطلاقًا من شجاعتها فى الإعلان عن التزامها بالإسلام فى الموقف الصعب[٢٥].

أم عمارة تبايع رسول الله فى العقبة وتدافع عنه يوم أحد:

هى نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مازن بن النجار الأنصارية، وكنيتها "أم عمارة"، كانت هى وأختها فى بيعة العقبة الثانية وبايعتا رسول الله صلى

---

[25] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج٢ ص٦٧، ابن كثير: البداية والنهاية ج٣ ص٥٩

الله عليه وسلم، وقد حضر معها زوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله، وأسلمت فى أوائل من أسلم وحين خرج زوجها وابناها إلى أُحد خرجت معهم متطوعة ، وكانت تقوم بسقى العطشى ، وتداوى الجرحى ، وتعالج المرضى ، وفى مرة خرجت فى أول النهار لتسقى المقاتلين من المسلمين فانتهى بها المطاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والنصر للمسلمين، فلما انتهت مهمتها وعادت لاحظت أن النصر جانب المسلمين فانحازت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انهزم المسلمون أخذت بالسيف وجعلت ترمى بالقوس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى وصلت إليها الجراح، وذلك لما ولى الناس عن رسول الله وقد أقبل ابن قميئة وهو يصيح دلونى على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه، وقد كانت نسيبة أم عمارة فيهم فضربها وضربته ضربات ولكنها لم تصبه، لأنه قد تدرع بدرعين من حديد.

وقد جرحت ثلاثة عشر جرحًا، فجعل النبى يقول: "ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة"، وعندما نادى الرسول إلى حمراء الأسد لم تتمكن من مصاحبته لكثرة جراحها وبعد عودته أرسل إليها عبيد الله بن كعب المازنى يسأل عنها ويطمئن عليها.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم أحد: ما التفت يمينًا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى. وقد شهدت أم عمارة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ويوم حنين ويوم خيبر وبيعة الرضوان، وكان الرسول يقول :لمقام نسيبة يوم خيبر خير من مقام فلان وفلان[٢٦]، قالت نسيبة بنت كعب "أم عمارة" لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أدع الله أن نرافقك فى الجنة، فقال: اللهم أجعلهم رفقائى فى الجنة، فقالت: ما أبالى ما أصابنى من الدنيا.

كانت نسيبة بنت كعب "أم عمارة" من فقهاء الصحابة، روت عن النبى صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث ، وروى عنها الترمذى والنسائى وابن ماجه. وما كانت أم عمارة تندفع هذا الاندفاع الثورى، وتقوم بهذه التضحيات الجسام لو لم يقر لها

---

[26] ابن سعد: الطبقات الكبري ج٨ ص٤١٣

الإسلام حقوقها كاملة فى الحياة، ولو لم يساوى بينها وبين الرجل على صعيد إنساني واحد.

أم حرام تشارك الأسطول الإسلامى فى غزو قبرص

هى أم حرام بنت ملحان بن خالد الأنصارية النجارية وهى من بنى النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخوها حرام بن ملحان الشهيد الذى قال يوم بئر معونة: فزت ورب الكعبة، وذلك حين طعنه المشركون بحربة خرجت من ظهره، وأختها أم سليم بنت ملحان زوجة الصحابى أبى طلحة وكانت تسمى "بالغميصاء "وهى أم أنس بن مالك، وكانت تحمل خنجرًا يوم بدر ويوم حنين لتحارب به المشركين، وهى التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: دخلت الجنة فسمعت حشفة بين يدى ، فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان[٢٧].

وتعتبر أم حرام أحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع زوجها عبادة بن الصامت الأنصارى الخزرجى وكان نقيبا من النقباء الأثنى عشر الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة، وقد شهد بدرًا، والمشاهد كلها، آخى الرسول بينه وبين أبى مرثد الغنوى، وقد جمع القرآن وحفظه فى عهد النبى ، وفى عهد عمر بن الخطاب وجهه إلى الشام قاضيًا ومعلمًا ، وكان من سادات الصحابة وروى ١٨١ حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢٨].

كانت أم حرام من أوائل المسلمات فى المدينة، ساهمت فى معارك أُحد وحنين والخندق والفتح والطائف مع زوجها عبادة بن الصامت وكانت تخرج مع الجنود تسقى الظمأى وتداوى الجرحى .سمعت أم حرام رسول الله يقول: ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون البحر مثل الملوك على الأسرة، فقالت أم حرام: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم، قال: أنت من الأولين[٢٩].

ترامى إلى سمع أم حرام استئذان معاوية من عثمان بن عفان أن يغزو فى البحر وموافقة عثمان على ذلك ، فتذكرت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

27 أحمد ابن حنبل: مسند أحمد ج٣ ص١٠٦

28 ابن سعد: الطبقات الكبري ج٣ ص٥٤٦-٥٤٧

29 البخاري: صحيح لبخاري ج٣ ص٢٧١٩، مسلم صحيح مسلم ج٣ ص١٥١٩

وكانت قد وصلت إلى خريف العمر، وبلغت مرحلة لا تستطيع أن تجاهد فيها، لكنها تلهفت لركوب البحر والجهاد فى سبيل الله، فطلبت من زوجها أن يستأذن لها عثمان بن عفان، وألحت فى طلبها، حتى وافق لهما عثمان بمرافقة الجيش، كما أذن لغيرهم من كبار الصحابة أمثال أبى ذر الغفارى وأبى الدرداء وغيرهما.[30]

وغزا معاوية وجنود المسلمين قبرص ومعهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام، واشتد القتال بين المسلمين وأهل قبرص فى البر والبحر حتى استسلموا للمسلمين وطلبوا الصلح، فصالحهم معاوية على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها للمسلمين كل عام، وانتهت المعركة واستعد جنود المسلمين للعودة وبدأوا يرجعون إلى الشام، على سفنهم ، كالملوك على الأسرة، وتهيأت أم حرام للعودة، فقربوا لها بغلة تمتطيها لتوصلها إلى السفينة المعدة لها، فزلت قدمها وسقطت على الأرض ولفظت أنفاسها الأخيرة، ودفنت فى قبرص، ويسمى قبرها "قبر المرأة الصالحة"، وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم لها: أنت من الأولين، وتحققت أحلامها فى الشهادة، وكُتبت فى سجل الأوائل كأول مجاهدة فى البحر وأول من غزا البحر من النساء، ولقد وصفها الأصبهانى بقول: حميدة البر، شهيدة البحر، التواقة إلى مشاهدة الجنان، أم حرام بنت ملحان[٣١].

كانت أم حرام من المحدثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روى عنها زوجها عبادة بن الصامت، وعمير بن الأسود، وعطاء بن يسار، ويعلى بن شداد بن أوس[32].

المرأة فى صدر الإسلام تعمل بالتمريض والإسعاف الصحى فى السلم والحرب

كان على رأس الخدمات التى برزت فيها المرأة فى صدر الإسلام للتمريض والإسعاف الصحى فى السلم والحرب، وقد ساهمت المرأة فى تقدم فن الجراحة والتمريض فى صدر الإسلام وخير دليل على ذلك ما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم من أن الواحد منهم كان يصاب بأكثر من جرح فى المعركة الواحدة، ومع

---

[30] **الطبري**: تاريخ الطبري ج٢ ص٦٠٠، خليفة بث خياط: تاريخ خليفة ج١ ص١٦٠

[31] حلية الأولياء ج٢ ص ٦١

[32] **الذهبي**:المعين في طبقات المحدثين ص٣١ /ابن حجر: الإصابة ج٨ ص١٨٩

ذلك كان يشفى من هذه الجروح ويعود إلى القتال من جديد، ولم نسمع عن حالة تعفن أو غرغرينا فى جرح إلا فيما نذر، أى أن الطب فى صدر الإسلام كان يعرف تطهير الجروح، والمحافظة على نظافتها من التلوث، وكانت المرأة تقوم بتضميد الجراح، وجبر العظام، وإيقاف الدماء النازفة من جراح المقاتلين، وغير ذلك من أعمال الإسعافات الأولية المعروفة، وكانت تكشف على الجرحى وتقدم الدواء والطعام لهم، والإسعاف فى ظروف الحرب من نقل للجرحى ودفن للشهداء، وتقديرًا لدورها البطولى فى معارك الإسلام، وتكريما لمهنة الطب والتمريض، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ساوى بين الممرضات المسلمات فى الجهاد وبين المجاهد الذى يقاتل بسيفه ورمحه فى سبيل الله ، ذلك لأنهن كن يخرجن إلى المعارك مع الرجال جنبًا إلى جنب حاملات الماء والغذاء وكل ما يحتاجه المقاتل الجريح من اللفائف والجبائر، وإذا ما دعت الحاجة فإنهن يشتركن فى القتال، وكانت رفيدة الأنصارية أول ممرضة فى الإسلام وهى من نساء الأنصار اللائى خرجن لاستقبال النبى صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى يثرب مهاجرًا من مكة، وقد تفرغت لمهنة التمريض فى أيام السلم تحتسب نفسها على من به علة من المسلمين، وإذا ما بدأ القتال كانت تخرج مع المقاتلين، وقد اختارها الرسول صلى الله عليه وسلم لتقوم بالعمل فى خيمة نُصبت لها فى المسجد لعلاج سعد بن معاذ الذى أصيب بسهم فى الخندق وكانت الربيع بنت معوذ الأنصارية تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزوات لتداوى الجرحى وترد القتلى إلى المدينة، وكعيبة بنت سعيد الأسلمية وهى إحدى النجيبات المعدودات من طبيبات العرب وكانت لها خيمة تداوى فيها المرضى وتأسو الجرحى، وخمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش، وكانت تغشى الموقعة فى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم فتحمل الجريح وتعود به حيث تأسو جراحه[٣٣].

واشتهرت أم عطية الأنصارية بالجراحة ، وغزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانت تداوى الجرحى وتقوم على المرضى فتقول: غزوت مع

---

[33] أحمد ابن حنبل: الآحاد والمثاني ج١ ص ٤٣٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢ صخ١ ٧٣ظ

رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، وكنت أخلفهم في الرحال، وأصنع لهم الطعام، وأقوم على المرضى وأداوي الجرحى[٣٤].

ومن النساء المسلمات اللواتي شهدن الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يداوين ويطببن: أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية، وليلى الغفارية التي كانت تخرج مع النبي في مغازية تداوي الجرحى وتقوم على المرضى . ومعاذة الغفارية التي كانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسفاره لمعالجة المرضى ومداواة الجرحى، وأم منيع بن عمر بن عدى التي شهدت خيبر مع رسول الله وكانت تقوم بمهمة التمريض والإسعاف للمقاتلين[35]. وبذلك نستطيع أن نقول أن المرأة في صدر الإسلام لم تتوانى عن المساهمة في الخدمات الاجتماعية، وعلى رأس تلك الخدمات التي برزت فيها المرأة، التمريض والإسعاف الصحي في السلم والحرب.

المرأة في صدر الإسلام تقول الشعر وتتذوقه:

كانت أم المؤمنين عائشة ذواقة للشعر، سريعة الاستشهاد به فيما يمر بها من أحداث، فعندما احتضر أبوها أبو بكر الصديق قالت:

لَعَمْرُكَ ما يغنى الثراء عن الفتى .. إذا حَشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر لافتا نظرها لما هو أفضل، ليس هكذا تقولين، بل قولي: **(وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد)**[٣٦]، وقالت:

وأبيض يستقى الغمام بوجهه .. ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعندما استشهد على بن أبي طالب ، قالت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى . . كما قر عيناً بالإياب المسافر

وكانت السيدة سكينة بنت الحسين بن على بن أبي طالب تقول الشعر وتتذوقه، فتجلس لتحكم بين الشعراء جرير والفرزدق وكثير وجميل وغيرهم، وكانت تسمى

---

[34] أبو الفرج: صفوة الصفوة ج٢ ص٧١-٧٢

[35] ابن سعد: الطبقات الكبري ج٨ ص٤٠٨، ابن حجر/ الإصابة ج٨ ص١٠٧

[36] سورة ق، آية ١٩

سكينة الشعر والشعراء[٣٧]، وكانت تنقد أشعارهم، وتفاضل بينهم، فقد دخل عليها الفرزدق فسألته: من أشعر الناس، قال: أنا، قالت: كذبت، بل صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التى فى طرفها مرض.. .... قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به .. وهن أضعف خلق الله أركانا

ويقول:

بنفسى من تجنبه عزيز .. على ومن زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لا أراه .. ويطرقنى إذا هجع النيام

قالت سكينة بنت الحسين بن على: عاتب عمى الحسن بن على أبى فى أمى الرباب فقال:

لعمرك إننى لأحب دارًا .. تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل ما لى .. وليس لعاتب عندى عتاب[38]

أما الشاعرة الخنساء، فقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، وقد قال عنها الشاعر أبو نواس: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهم الخنساء، ولها ديوان شعر يسمى ديوان الخنساء وهو مشهور بين الأدباء يحتج بأبياتها وكلامها، كانت الخنساء فى أول أمرها تقول البيتين والثلاثة من الشعر حتى قتل أخواها معاوية وصخر، وبقتلهما أكثرت من الشعر وأجادت، وعرفت بالبكاء والنواح، وإنشاء المراثى الشهيرة إبان جاهليتها، وكانت تقول أنا أعظم العرب مصيبة، وقد بكت الخنساء أخويها صخرًا ومعاوية، فقالت فى صخر:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به .. كأنه علم فى رأسه نار

وقالت فى معاوية:

ألا ما لعينى ألا مالها .. لقد أخضل الدمع سربالها

وقالت فى صخر أيضًا:

يذكرنى طلوع الشمس صخرًا .. وأذكره لكل غروب شمس

---

[37] ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص١٧٨، الابشيهي: المستطرف ج١ ص ١٤٢

[38] الأصفهاني لأغاني ج٨ ص٤٢ – ٤٣،جزء ١٥ ض ٨١

شهدت الخنساء القادسية ومعها أربعة أبناء فقالت لهم: يا بنى إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله غيره، إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، وقد تعلمون ما أعد الله لكم من الثواب وإن الزاد الباقية خير من الزاد الفانية ، فإن أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستنصرين ، وبالله على أعدائه مستنفرين ، فخرج بنوها وتقدموا فقاتلوا وأبلوا بلاءً حسنًا، واستشهدوا جميعًا، فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم، وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته[٣٩].

[39] ابن قاضي شهدة: طبقات الشافعية الكبري ج١ ص ٢٦٠ – ٢٦١، ابن حجر: الإصابة ج٧ ص ٦١٦.

٣ أهم أساتذة السيوطي من النساء المحدثات

خذوا شطر دينكم عن هذه: (الحميراء)

حديث نبوي

كفل الإسلام للمرأة أن تتابع تحصيلها العلمي الى المدى الذي يجعل منها فقيهة ومحدثة ومفتية ونحوية وعروضية وأديبة وشاعرة، لقد حفل تاريخ الدراسات الإسلامية بالعديد من النساء الفقيهات المحدثات صاحبات الإفتاء، ولم يكن العصر الذي عاش فيه السيوطي ليتخلف في هذا المضمار عن العصور السابقة عليه، ومن ثم كان بين أصحاب الحديث الذين أخذ عنهم السيوطي وسمع منهم وجلس إليهم عدد كبير من النساء المحدثات الثقات اللائي كانت توصف الواحدة منهن بالمسند، وذلك تنويها بفضلها وثبات حفظها ودقة روايتها.

جلال الدين السيوطي

هو جلال الدين السيوطى بن أبى بكر بن محمد جلال الدين الخضيرى الشافعى، ولد فى رجب سنة ٨٤٩ هـ / أكتوبر ١٤٤٥م بالقاهرة، وانتهى نسبه الى أسرة فارسية وكانت هذه الأسرة تعيش قبل قدومها الى مصر فى حى الخضيرية فى بغداد، واستقر بها المقام فى أسيوط قبل مولد جلال الدين بعشرة أجيال وعلى الأرجح فى زمن الأيوبيين، وأطلقت هذه الأسرة على الحى الذى عاشت فيه حى (الخضيرية) وتسمى هذه الأسرة بالجلاليين ويعرف كل فرد فيها بالجلالى.

نشأ السيوطى يتيما فقد توفى والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وهيأ الله له من أسباب النجاح فى الحياة ما جعله آية فى العلم ونابغة من نوابغه، وأغرم منذ صغره بالعلم.

وبعد وفاة والده قيض الله تعالى له العلامة كمال الدين بن الهمام الحنفى صاحب (فتح القدير) فكان يرعاه ويتابعه فى تحفيظ القرآن، وقد حفظ السيوطى القرآن وهو ابن ثمان سنين، ثم حفظ العمدة، والمنهاج الفقهى، والمنهاج الأصولى، وألفية ابن مالك.

عاش السيوطى فى عصر كثر فيه العلماء والأعلام الذين نبغوا فى علوم الدين واللغة وفى ميدان الإبداع الأدبى، وتأثر السيوطى بهذه النخبة الممتازة من كبار العلماء، وكان يطلق عليه (ابن الكتب)، لان ولادته كانت بين الكتب – ذلك أن أباه احتاج إلى مطالعة كتاب فأمر الأم أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه، فذهبت لتأتى به فجاءها المخاض وهى بين الكتب فوضعته.

توفى السيوطى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م وهو فى الثانية والستين من العمر، بعد حياة حافلة بالعلم والإيمان والزهد والورع والتقوى والتأليف والمراجعة، ودفن بالقاهرة شرقى باب القرافة المواجهة لمسجد السيدة عائشة فى شارع مسمى باسمه وهو شارع سيدى جلال، وقد قام أحمد تيمور بتحقيق موضع قبره وألف رسالة صغيرة فى ذلك سماها "قبر السيوطى وتحقيق موضعه"، أما المسجد المنسوب إليه فى مدينة أسيوط والمسمى بمسجد سيدى جلال، فقد بناه أحد أجداده ووقف عليه أوقافا، والضريح الذى فى هذا المسجد هو لصاحبه الذى بناه، ثم بمرور الزمن نسب إلى السيوطى لشهرته وهو على أى حال إحياء لأثره وتجديد لذكره فى هذه المدينة التى شرفت بانتسابه إليها[٤٠].

١- أم الفضل بنت محمد المقدسي:

قال السيوطي: أنبأتني أم الفضل بنت محمد المقدسي عن محمد بن علي بن صبلاح الحنفي ... أنبأنا عبد الله بن أبي حبيبة قال: سمعت أبا الدرداء[٤١] صاحب

[40] السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص٢٩٢، حسنين محمد ربيع: منهج السيوطي في كتابة التاريخ ص٣٩. أحمد تيمور: قبر السيوطي وتحقيق موضعه (المطبعة السلفية)، القاهرة ١٢٤٦هـ)

[41] أبو الدرداء الأنصاري هو عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي، صحابي من الأنصار يلقب بحكيم الأمة، أسلم يوم بدر، كان تاجرا في المدينة المنورة وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي. ولاه معاوية بن أبي

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينما أنا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا أبا الدرداء: من شهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله دخل الجنة) .... الحديث.

وقال السيوطي أيضا: أخبرتني أم الفضل بنت محمد المقدسي بقراءتي عليها، أنبأنا الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن علي الغماري ... عن سلمة رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب إذا توارت بالحجاب.

وكانت المحدثة تروي عن محدثة أخرى، فيقول السيوطي: قرأت على الشيخ أبي العباس الشاوي وأم الفضل بنت محمد المقدسي قالا: أنبأتنا أم عبد الله سارة بنت شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ... عن أبي ذر قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم، أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله (الحديث).

٢- أم هانئ بنت الهوريني:

يلقب السيوطي شيخته أم هاني بنت الهوريني بالمسند، فيقول: أخبرتني الشيختان المسندتان أم هاني بنت أبي الحسن الهوريني سماعا عليها، وأم الفضل بنت محمد المقدسى بقراءتي عليها .... ويذكر قصة إنشاد النابغة أبياتا من الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويروي السيوطي عنها حديثا ويطلق عليها عددا من الصفات الجليلة فيقول: قرأت على الأصيلة الثقة الخيرة الفاضلة الكاتبة أم هانئ بنت ابي الحسن الهوريني - وعدتهن في يدي - قالت أنبأنا الإمام النحوي أبو العباس أحمد بن عبدالمعطي المكي، وعبد الله بن محمد النشادري سماعا - وعدهن كل منهما في يدي - قال الأول .... حدثنا على ابن أبي طالب وعدهن في يدي، قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدهن في يدي، قال: عدهن في يدي جبريل عليه السلام،

سفيان قضاء دمشق بامر من عمر بن الخطاب .توفي في الإسكندرية بمصر قبلَ مَقتَل عُثمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنهُ سنة 32هـ وهو ابن ٧٢ عاما. والدرداء ابنته كنى بها فقامت الكنية مقام اسمه حتى لا يكاد يعرف إلا بها.

قال جبريل: هكذا نزلت بهن من عند رب العزة: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (الحديث).

٣- أم الفضل بنت محمد المصرية:

روى عنها السيوطي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحض فيه على الإكثار من الأصدقاء، يقول السيوطي: لقيت أم الفضل بنت محمد المصرية، فسألتني عن أسمي وكنيتي ونسبي وبلدي وأين أنزل، فأخبرتها بذلك، فقالت لي: لقيت عبد الله بن عمر الأزهري فسألني عن اسمي وكنيتي ونسبي وبلدي، وأين انزل فأخبرته بذلك، فقال: لقيت: قال أنس: لقيت النبي صلى الله عليه وسلم فسألني كما سألتك، وقال: "يا أنس أكثر من الأصدقاء، فإنكم شفعاً بعضكم على بعض".

٤- خديجة بنت أبي الحسن بن الملقن:

كانت خديجة هي الأخرى واحدة من شيخات السيوطي، وعنها أخذ حديث القصر في الصلاة والخطبة، يقول السيوطي: أخبرتني خديجة بنت أبي الحسن بن الملقن إذنا غير مرة عن أبي اليمن بن الكويك .... عن جابر بن أبي سمرة قال: كنت أصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصراً، وخطبته قصراً.

٥- فاطمة بنت على بن اليسير:

كانت فاطمة إحدى المحدثات بالفسطاط وكانت واحدة من شيخات السيوطي في الحديث. يقول: أخبرتني فاطمة بنت على اليسير مشافهة في الفسطاط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ عامدا متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار).

٦- نشوان بنت عبد الله الكناني:

يطلق السيوطي عليها صفة الأصيلة ويقول: قرأت على الأصيلة نشوان بنت عبد الله الكناني عن أبي إسحاق السلار ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء ... الحديث).

٧- هاجر بنت محمد المصرية:

أخذ السيوطي عنها حديثين شريفين: يقول السيوطي: شافهتني هاجر بنت محمد المصرية ... عن أنس بن مالك: (سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم).

والحديث الثاني: قرأت على هاجر بنت محمد المصرية ... سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكفلوا لي بست أكفل لكم الجنة .... الحديث).

٨-هاجر بنت محمد المقدس

أخذ عنها السيوطي أربعة أحاديث بعضها بقراءته عليها والبعض الأخر بسماعه من يقرأ عليها، ومعنى ذلك أنها كانت صاحبة مجلس حديث يؤمه السيوطي وغيره من طالبي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا يكون النساء الحافظات صاحبات مجالس علم مثل مجالس العلماء الرجال.

يقول السيوطي: أخبرتني هاجر بنت محمد المقدس بقراءتي عليها .... عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب).

ويقول: قرأت على هاجر .... عن عائشة رضي الله عنها قالت: خيّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يكن طلاق.

ويقول أيضا: أخبرتني هاجر بنت محمد المقدسى قراءة عليها وأنا أسمع ... عن رسول الله صلي الله عليه وسلم: (أقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإن اختلفتم فيه فقوموا).

وقال السيوطي أيضا: قرئ على هاجر بنت محمد المقدس وأنا أسمع: (أن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة).

٩- أمة الخالق المكناة بأم الخير:

كانت أمة الخالق واحدة من شيخات السيوطي حسبما جاء في باب الأحاديث المنتقاه من الطبقات الكبرى الملحق بكتاب بغية الوعاة للسيوطي وأسمها الكامل هو أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي وقد ذكرها النجم الغزي صاحب كتاب الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة وقد وصفها بقوله: الشيخة المحدثة المعمرة وبموتها نزل أهل الأرض درجة في رواية البخاري وولدت سنة إحدى عشرة وثمانمائة وكانت وفاتها سنة اثنتين وتسعمائة، أي أنها ولدت قبل السيوطي بنحو ثلث قرن، وتوفيت قبله بتسع سنين، ولقد حضرت أمه الخالق على شيوخ العصر وإعلامه من أمثال الجمال الحنبلي والشرف بن الكويك الذي أجاز لها التدريس والتحديث، ومن ثم كان من بين شيخات السيوطي المحدثات من لا تقل درجاتهن في مقام التحديث عن درجات كبار المحدثين من الرجال.

هذا وللسيوطي شيخات كثيرات أخريات، أخذ عنهن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق المشافهة، أو القراءة بنفسه، أو بسماع أحد يقرأ عليهن من أمثال كماليه بنت محمد بن أبي بكر المرجائي، وأمة العزيز بنت محمد الأنباس وغيرهما، وكلهن محدثات ثقات[٤٢].

[42] د. مصطفي الشكعة: جلال الدين السيوطي سيرته العلمية (الطبعة الأولي ١٩٩٤م، الدار المصرية اللبنانية.

٣ الصوفية والمرأة

أنت أنسى وهمتي وسروري أبى القلب أن يحب سواكا

يا عزيزي وهمتي ومرادي طال شوقي متى يكون لقاكا

ليس سؤلي من الجنان نعيم غير أني أريد أن ألقاكا[٤٣]

(شعر ريحانة العابدة الوالهة)

جاء القرآن الكريم فأعاد وحدة الكائن البشري دون تمييز وأعطى احترام وتكريم الأنثى، كما ساوي القرآن الكريم بين الرجل والمرأة في الوقت الذي كانت القبائل البدوية التي تعبد الأصنام لا زالت بربرية وتقوم بوأد البنات الرضع وهم أحياء لمصلحة الرجل.

في السنوات الأولى من ظهور الإسلام لعبت السيدة خديجة زوجة الرسول محمد ﷺ أهم وأعظم دور، فهي التي ساندت وساعدت وعززت ضد شكوكه وارتباكه فترة تعبده، لقد وقفت بجانبه في فترات عصيبة، حيث ساعدت الرسول محمد ﷺ بحمل نور الإيمان الجديد.

كانت فاطمة الزهراء ابنة محمد ﷺ وخديجة الكبرى، وهي أول من نقل إليها فهم الصوفية في الإسلام، وأول من تميزت وعرفت بالمسلمة الصوفية وأن زواجها من علي كرم الله وجهه هو ربط هذه الظاهرة الجديدة للصوفية بالعالم، وأن بذور الوحدة بدأت تزدهر وتظهر للوجود مع معرفة الله بالتأمل والرؤيا مع تطوير الجانب الصوفي للإسلام.

---

(٤٣) ذكر النسوة المتعبدات، صـــ٣٨، صفة الصفوة ٤/٤٢٩، ٣٥٣.

كانت (رابعة العدوية) المرأة الصوفية التي عاشت من ٧١٧ إلي ٨٠١م، وهي أول من عبّرت عن العلاقة مع الله ﷻ في اللغة الصوفية. وكانت (رابعة العدوية) أول كائن بشري يتحدث عن الوقائع المتعلقة بالصوفية وباللغة التي يفهمها كل واحد، وبالرغم من أنها عانت صعوبات عديدة في سنوات عمرها الأولى فنقطة انطلاقها لم تكن بدافع الخوف من جهنم ولا بدافع الرغبة لبلوغ الجنة، لكن كان الحب لله ﷻ فقط.

اندمجت النساء مع الرجال في المراسيم، وفي واجهات أخرى النساء تجمعوا في (حلقات الذكر) الخاص بهم، وقد قامت النساء بالعبادة بعيدة عن الرجل وبعض النساء كرسن أنفسهن إلى الروح الزاهد بعيدة عن المجتمع كما فعلت رابعة العدوية.

وقد ظهرت نساء أخريات بدور المحسنات والمتبرعات بهبات خيرية وقد قوين وعززن حلقات العبادة.

لقد لعبت المرأة دورًا كبيرًا في النشاط الصوفي ووقفن بجوار الرجال يساندوهن ويؤازروهن، إن (ابن عربي) القطب العظيم (١١٦٥ – ١٢٤٠م) أمضى فترة من حياته مع امرأتين صوفيتين طاعنتين في السن وكانتا ذا تأثير عميق عليه، احدهما (شامز مارجينا (Shams of Marchena وكان الأكثر شوقا لها، وفاطمة كوردوف (Fatima of Cordova) وقد قضى معها زمنا طويلا، وهو يقول: أنا خدمت سيدة من المحبين لروح الله (سفيلى) Seville وتدعى (فاطمة بنت ابن المثنى) كوردوف وأنا كانسان ملتزم خدمتها لعدة سنوات كونها تجاوزت سن (٩٥ سنة) وقد اعتادت الضرب على (الدف) وتشعر بتسلية ومتعة فيه.

وقد بنى ابن عربي لها كوخا من البردي سكنت فيه حتى توفيت، واعتادت أن تقول (لابن عربي): أنا الأم الروحية لك ونور الأم الدنيوية وعندما جاءت أمه لزيارتها قالت (فاطمه كوردوف) لأمه: آه يا نور هذا ولدي وهو ابنك أحبيه ولا تكرهينه.

وعندما سأل مرة (صوفي مصري): من هو في اعتقادك أعلي منزلة من بين الصوفيين أجاب: هي سيدة مكة تدعى (فاطمة النيسابورية Fatimah Nishapuri)التي أظهرت في حديثها الفهم العميق لمعاني \القرآن الكريم، وهي معلمتي وقد أرشدتني وقالت لي: في كل أعمالك لاحظ نفسك بأن تتصرف بإخلاص أمام (أعماق نفسك) (النفس) وقالت: الذي لم يكن الله في وعيه يكون في الوهم، ومهما تكن اللغة التي يتكلم بها ومهما تكن الصحبة التي يتمسك بها، ومهما يتمسك بصحبته لله، عليه أن لا يتكلم باستثناء الكلام بإخلاص والتمسك بالتحفظ المتواضع والتكريس الجاد في سلوكه.

ومن بين النساء اللواتي اتبعن سبيل الحب والحقيقة من المبتهجات والباكيات، امرأة فارسية تدعى (شوانا Sha,wana) وهي من النساء اللواتي بكوا وقد اجمع حولها الرجال والنساء لسماع أغنياتها وأحاديثها، واعتادت أن تقول: (إن العيون المحرومة من التمسك والتعلق بالمحبوب، لا زالت راغبة ومتشوقة للنظر إليه، ولا يمكن أن تكون هذه الرؤيا ملائمة بدون البكاء).

منذ قرون مضت وكلمات النساء الصوفيات تظهر في تفاصيل تقليدية لتعليقاتهم أو من الشعر أو القصائد والكلمات التي نمت وتطورت، وبالرغم من أن القرآن الكريم شجع التعليم بصورة كبيرة، بالنسبة للمرأة والرجل، ولكن المرأة تتلقى بعض الأحيان فرص أقل للتعليم من الرجل في ظروف مماثلة.

إن القرآن الكريم يأمر بصورة أساسية بالاحترام المتبادل والتقييم للكائن البشري بغض النظر عن الجنس والحالة الاجتماعية، وإن فهم القرآن كان الجوهر الأساسي لمفهوم الصوفية.

تترجم الثقافة الغربية الكثير من الأعمال والكثير من القصص حول الصوفية التي أصبحت في متناول الأيدي وما تقوم به هذه القصص من كشف وتنقيب عن الصوفيين، فنحن نكتشف حياة وأعمال الأخوات الصوفيات ومن بين تلك الأخوات نذكر (عائشة) من دمشق وكانت واحدة من أشهر الصوفيات في القرن الخامس عشر.

إن المرأة الصوفية في جميع أنحاء العالم تستمد هويتها في العديد من النظم الصوفية. ففي تركيا بوجه خاص، وبسبب تحريم (أتاتورك) للنظم الصوفية في القرن التاسع عشر الذي دفع الكثير من الممارسات الصوفية إلي مزاولة ذلك في البيوت الخاصة وهناك نساء في تركيا مثل (زينب خاتون) في أنقرة ذاع صيتها في تركيا وخارج تركيا من خلال قصائدها وأغانيها الصوفية.

٤ نساء صوفيات

راحتى يا إخوتى فى خلوتى
(رابعة العدوية)

البحث فى التاريخ الإسلامي عن نموذج للمرأة الصوفية يكشف عن أن بعضهن كن صاحبات علم ورؤية ولسن مجرد زاهدات أو صاحبات كرامات لكنهن رغم ذلك توارين فى كتب التاريخ. وترى الدكتور أميمة أبو بكر[٤٤]، إحدى المهتمات بإعادة قراءة تاريخ المرأة فى الإسلام، أننا نكاد لا نعرف من تاريخ الزاهدات والعابدات فى العصور الإسلامية سوى رابعة العدوية، فى حين أن الكثيرات منهن أذكين الجانب الروحى فى الحياة الدينية أثناء العصور الإسلامية، بل أثرن فى الفكر الصوفى بأفكارهن عن العلاقة بالله ورغم ذلك فقد همشتهن كتب التاريخ، حتى الكتب الحديثة التى تؤرخ لتاريخ المرأة فى الإسلام.

ويقول الدكتور عمار علي حسن[٤٥] إن بزوغ نماذج لامعة من العارفات بالله قديمًا كان سببه الرئيسي هو أن التصوف كان فرديًا وأمرًا نفسيًا وأحيانا ما تبرز نماذج لشيخات صوفيات في المناسبات الدينية والموالد لكنهن لسن علي مستوي القيادة ولا يمثلن عددًا كافيًا لتولي القيادة، والقانون المنظم للطرق الصوفية[٤٦] ينص علي أن المشيخة في الطريق تنتقل بعد وفاة شيخها إلي أقرب أقربائه من الذكور وهو ما أسهم في إبعاد المرأة عن تولي المشيخة.

[44] أستاذة الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة

[45] باحث في مجال الحركات الصوفية، رئيس قسم الأبحاث بوكالة أنباء الشرق الأوسط، روائي وباحث في العلوم السياسية وكاتب صحفي

[46] القانون ١١٨ لسنة ١٩٧٦

وفى ورقة بحثية لها تحت عنوان «قراءة فى تاريخ عابدات الإسلام» تذكر الدكتورة أميمة أبو بكر أسماء العديد من الزاهدات العابدات فى المجتمع الإسلامى وتذكر أن: «العابدات والزاهدات الأوائل استطعن أن يوجدن مساحة كبيرة من حرية الحركة والسفر والزيارة والتحرر من القيود التقليدية على حركة النساء، بل والتحرر السياسى والاقتصادى حين كن ينفقن على أنفسهن من العمل».

قديما كانت الأدوار الأسرية للمرأة الزاهدة لا تشكل قيمتهن الوحيدة فى الحياة، فالمرأة الناسكة ليست مجرد امرأة تابعة للرجل، بل كانت المتزوجات منهن ينظرن إلى رباط الزوجية على أنه مسئولية روحية وشركة فى العبادة. (أميمة أبو بكر).

لقد أوجد غياب الصورة التى تمثل المرأة الصوفية فى المجتمع صورة أخرى أكثر ضبابية، وأصبح المجتمع متحيرًا بين صورة تراثية لنساء مثل رابعة العدوية وصورة أخرى سلبية لبسطاء الموالد، وبين هذا وذاك مريدات تحكمهن قيود وقواعد داخل الطرق الصوفية، لذا كان لابد من نماذج جديدة تمثل شكلا جديدا مثل نموذج الدكتورة عبلة الكحلاوى ــ أستاذة الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر ــ التى تستخدم فى أحاديثها تعبيرات صوفية وعلى موقعها تصف نفسها بعبارات زاهدة مثل «العبد الفقير التى ترجو المغفرة والرحمة وحسن الخاتمة»، لكنها لا تقدم نفسها على أنها صوفية تقليدية، والمفارقة أن الدكتورة عبلة الكحلاوى كانت إحدى من شهدن ساحة الشيخة زكية فى صغرها بحكم نشأتها فى بيت الفنان محمد الكحلاوى الذى ختم حياته متعلقًا بسير العارفين بالله وأقطاب الصوفية. لكنها رغم كل هذا لا يزال ظهورها الأهم فى المجتمع وعلى المستوى الإعلامى بشكل فردى وغير محسوب على تيار أو طريقة صوفية، بل كأكاديمية ووجه إعلامى مقبول.

الدكتور عمّار على حسن، الباحث المهتم بالحركات الصوفية، يرى أن بزوغ نماذج لامعة من الصوفيات قديما كان سببه الرئيسى أن التصوف كان فرديًا

أو «جوانى»، ولا يخضع لطريقة أو هيكل تنظيمى ذكورى، وأن عودة نساء يحملن الحس الصوفى فى المجتمع مرة أخرى لن يقوم إلا عن نفس الطريق، ويقول: «أحيانا ما تبرز نماذج لشيخات صوفيات فى المناسبات الدينية والموالد، لكنهن لسن على مستوى القيادة ولا يمثلن عدد عضوات الطرق الصوفية والمريدات فيها. ويزكّى الدكتور عمّار التوجه الصوفى الفردى الذى يرجح أنه قد يساعد فى تقديم نماذج لنساء بارزات فى المجتمع يحملن داخلهن هذا الحس الصوفى الذى يعتمد على أفكار وسلوكيات أكثر من أشكال تنظيمية.

واليوم مع انتشار التعليم والعمل فى أوساط النساء ودخول تيارات دينية متعددة في الصورة أعادت النظر فى التصوف بل اتخذت منه أحيانا موقفًا عدائيًا. زادت الضغوط على المرأة الصوفية وأصبح من الصعب أن تظهر نماذج لامعة فى هذا المجال، خصوصا أن بعض اللوائح التنظيمية الحديثة تعيق تقدمها عن طريق تجمع مثل المجلس الأعلى للطرق الصوفية الذى لا يقبل عضوية النساء داخله.

حنان محفوظ فنانة تشكيلية تعيش هذه الحالة حتى يظنها البعض للوهلة الأولى فتاة صوفية، لكنها تجيب مباشرة: «أنا مش صوفية»، وذلك رفضا للتصنيف لكنها فى الحقيقة لا تخفى أن لديها ذلك الحس الذى لا ترغب فى أن يتحول إلى انتماء لطريقة أو اندماج فى مبالغات يعتنقها البعض. تقول: «ذلك الحس لاحظته فى جميع الأديان حتى الأديان الشرقية، الأمر بالنسبة لى هو مشاهدات تربطنى أكثر بالسماء والخالق، كأن أرى فى الأمطار رسالة من السماء تدعونا إلى أن نكون على صلة أكثر بالله، فى حين قد يرى فيها صديق آخر أنها سبب فى الأوحال وإعاقة لحركة الناس»[٤٧].

---

[47] نقلا عن مجلة نصف الدنيا

نموذج الشيخة زكية

لا شك أن سيرة الشيخة زكية عبد المطلب تمثل نموذجا يمزج بين الصورة الشعبية للعارفة بالله وجرأة المرأة الزاهدة فى الإسلام وإقدامها، فقد اختارت الشيخة زكية رضي الله عنها أن تنفق ميراثها على الخير، وبنت مسجدًا لها وساحة فى قلب الصحراء الشرقية قبل وفاتها لخدمة سكان الصحراء (العبابدة) جوار مقام القطب الصوفى أبى الحسن الشاذلى، وهو ما خفف من وحشة المكان هناك الذى يرتاده آلاف المتصوفة من جميع أنحاء مصر".

وساحة الشيخة زكية فى حى الجمالية تحيى صورة المرأة الصوفية الناسكة الزاهدة التى بدأت فى التلاشى، وتكفى نظرة على خلوتها التى كانت محل ذكر وتسبيح حتى تنقل إلى الجالس فى حضرة الشيخة إحساسًا بأنها كانت نموذجًا يحاكى عقيلات آل البيت والعابدات الأوائل، أما اليوم فهناك من احتفظت بتصوفها فى قلبها، وهناك من تحاول رسم صورة جديدة للمرأة الصوفية أكثر تماشيا مع الواقع.

٥ نساء متعبدات صوفيات من التاريخ

من لم يكن الله منه علي بال
فإنه يتخطي في كل ميدان
ويتكلم بكل لسان
ومن كان الله منه علي بال
أخرسه إلا عن الصدق
وألزمه الحياء والإخلاص
(من أقوال فاطمة النيسابورية)

يحفظ لنا التاريخ الإسلامي سيرة عدد كبير من النساء المتعبدات، وإن كانت سيرة عاشقة الحب الإلهي رابعة العدوية هي الأشهر إلا أن نماذج أخري من النساء جديرة بأن تحظي بقدر من الاهتمام، وفيما يلي عرض مختصر لأكثر من من ٦٥ عابدة متصوفة عرض حياتهن العلامة عبد السيد أحمد الخطيب.

١ - رابعة العدوية

كانت من أهل البصرة وكانت مولاة لآل عتيك وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يسألها عن مسائل ويعتمد عليها ويرغب في موعظتها ودعائها. قال جعفر بن سليمان: أخذ بيدي سفيان الثوري وقال: مر بي إلى المؤدبة التي لا أجدني أستريح إذا فارقتها. فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال اللهم إني أسألك السلامة. فبكت رابعة فقال: ما يبكيك قالت أنت عرضتني للبكاء فقال لها وكيف فقالت أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها. كانت رابعة تقول: لكل شيء ثمرة وثمرة المعرفة الإقبال. وبإسناده قالت رابعة: أستغفر الله من قلة صدقي في أستغفر الله. وبإسناده قيل لها: كيف حبك للرسول فقالت إني لأحبه ولكن شغلني حب الخالق عن حب المخلوقين. وقال رأت رابعة يوما رباحا

وهو يقبل صبيا صغيرا فقالت أتحبه قال نعم فقالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضع محبة لغير الله عز وجل فخر رياحا مغشيا عليه فلما أفاق قال بل رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده. سالت رابعة وهي تتمايل مم تمايلك فقالت سكرت من حب ربي الليلة فأصبحت وأنا منه مخمورة. سئلت رابعة مرة: ما أقرب ما تقرب به العبد إلى الله عز وجل فبكت وقالت مثلي يسأل عن هذا؟! أقرب ما تقرب العبد به إلى الله تعالى أن يعلم انه لا يحب من الدنيا والآخرة غيره.

قال الثوري بين يدي رابعة: وا حزناه فقالت لا تكذب قل وا قلة حزناه لو كنت محزونا ما هنأك العيش. ومرت رابعة على رجل بالبصرة أخذ على فاحشة فصلب فقالت بأبي ذلك اللسان الذي كنت تقول به لا إله إلا الله.

٢- لبابة المتعبدة:

من أهل بيت المقدس وكانت من أهل المعرفة والمجاهدات. قالت لبابة المتعبدة: إني لأستحيي من الله تعالى أن يراني مشتغلة بغيره. وقالت لبابة: ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها فإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني ذكره وإذا أعياني حديث الخلق روحني التفرغ لعبادة الله والقيام إلى خدمته. وقال لها رجل: هو ذا أريد أن أحج فماذا أدعو في الموسم؟ فقالت: سل الله تعالى شيئين أن يرضى عنك ويبلغك منزل الراضين عنه وأن يخمل ذكر فيما بين أوليائه.

٣- مريم البصرية:

من أهل البصرة في أيام رابعة وعاشت بعدها وكانت تصطحبها وتخدمها وكانت تتكلم في المحبة فإذا سمعت بعلوم المحبة طاشت. وقيل إنها حضرت في مجالس بعض الواعظين فتكلم في المحبة فانشقت مرارتها فماتت في المجلس. قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت: الله لطيف بعباده. ثم لم تجوز به حتى أصبحت. وقالت مريم: ما اهتممت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عز وجل يقول **(وفي السماء رزقكم وما توعدون)**[٤٨].

---

[48] سورة الذاريات، آية ٢٢

٤- مؤمنة بنت بهلول:

من عابدات دمشق. كانت من العارفات الكبار. كانت تقول: ما طابت الدنيا والآخرة إلا بالله أو بالنظر إلى آثار صنعه وقدرته. ومن منع من القرب، أنس بالأثر. وما أوحش ساعة لا يذكر الله فيها. وسئلت مؤمنة من أين استفدت هذه الأحوال؟ قالت من إتباع أمر الله على سنة رسول الله وتعظيم حقوق المسلمين سمعت أبا الفضل الشيباني يقول سمعت مؤمنة بنت بهلول وكانت زاهدة دمشق تقول: قرة عيني ما طابت الدنيا والآخرة إلا بك فلا تجمع علي فقدك والعذاب.

٥- معاذة بنت عبد الله العدوية:

وكانت من أقران رابعة. كانت تأنس بها ولم ترفع بصرها إلى السماء أربعين سنة. وكانت لا تأكل بالنهار ولا تنام بالليل فقيل لها أضررت بنفسك فقالت لا أخرت من وقت إلى وقت أخرت النوم من الليل إلى النهار والأكل من النهار إلى الليل.

وجدت بخط أبي رحمه الله قال: كانت امرأة تخدم معاذة العدوية وكانت هي تحيي الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: يا نفس النوم أمامك لو قد مت لطالت رقدتك في القبر على حسرة أو سرور ولا تزال كذلك حتى تصبح.

٦- شبكة البصرية:

كانت صاحبة أخيها ذي ورع. وكانت في بيتها سراديب لتلامذتها وللمريدات تعلمهن طرق المجاهدات والمعاملة. وكانت تقول: تطهر النفوس بالرياضات وإذا طهرت استراحت إلى العبادة كما كانت قبل ذلك تتغنى فيها. كذلك ذكره أبو سعيد بن الأعرابي في كتاب الطبقات.

٧- نسية بنت سلمان:

وكانت امرأة يوسف بن أسباط. قالت يوما لزوجها: الله سائلك عني لا تطعمني إلا حلالا ولا تمد يدك إلى شبهة بسببي. قال وولدت ولدا فقالت يا رب لم ترني أهلا لخدمتك فشغلتني بالولد.

٨- غفيرة العابدة:

من أهل البصرة. قيل: بكت غفيرة العابدة حتى عميت، فقال رجل: ما أشد العمى. فقالت غفيرة: الحجاب عن الله أشد. وعمى القلب عن فهم مراد الله في أوامره أشد وأشد.

٩- عافية المشتاقة:

من أهل البصرة. وكانت والهة هائمة كثيرة الذكر. قلما كانت تأنس إلى أحد. ذكر أنها كانت تحيي الليل وتأوي بالنهار إلى المقابر وتقول: المحب لا يسأم من مناجاة حبيبه ولا يهمه سواه واشوقاه واشوقاه واشوقاه ثلاثا.

١٠- أم عبد الله بنت خالد بن معدان:

كانت تقول: لو تيقنت أن الله تعالى يدخلني الجنة ما ازددت إلا اجتهادا وخدمة أحسن على العبيد من حسن الخدمة لمواليهم.

١١- أنيسة بنت عمرو العدوية:

كانت من أهل البصرة تلميذة معاذة العدوية. كانت تقول: ما رضت نفسي على شيء فأبت علي إباءها إياي على أكل الحلال والكسب.

١٢- أم الأسود بنت زيد العدوية:

بصرية. وكانت معاذة قد أرضعتها. وسئلت عن قول الله عز وجل: **(فاصفح الصفح الجميل)**. قالت: رضا بلا عتاب.

١٣- شعوانة:

كانت تنزل الأبلة. وكانت عجيبة حسنة الصوت طيبة النغمة تعظ الناس. يقرأ لهم ويحضرها الزهاد والعباد والمتقربة وأرباب القلوب والمجاهدات. وكانت هي من المجتهدات الخائفات الباكيات والمبكيات. بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى فقلنا: لها إنا نخاف عليك العمى. فبكت وقالت: أن أعمى والله في الدنيا من البكاء، أحب إلي من أعمى في الآخرة من النار. وكانت شعوانة تقول: عين فارقت حبيبها واشتاقت إلى لقائه بغير بكاء لا يحسن.

١٤- سعيدة بنت زيد أخت حماد بن زيد:

كانت من عارفات البصريين. وكانت تشبه برابعة. وكانت كثيرة الاجتهاد دائمة التفكر. روي عنها أنها كانت تقول: من تفكر في نعم الله عليه وتقصيره في شكره استحيا من السؤال مع كثير ما عليه من النوال.

١٥- أم سعيد بنت علقمة النخعية:

كانت من زهاد البصرة. داود الطائي يقول: همك عطل علي الهموم وحالف بيني وبين السهاد. وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني الشهوات. وكانت أم سعيد تخدم داود الطائي وكانت أمة طائية وكانت أبدا تبكي ببكاء داود.

١٦ كردية بنت عمرو:

وكانت من أهل البصرة أو الأهواز. وكانت تخدم شعوانة. قالت: بت ليلة عند شعوانة فنمت فركضتني وقالت قومي يا كردية ليس هذا دار النوم إنما النوم في القبور. وقيل لكردية: ما الذي أصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها ولا اهتممت لرزقي ولا عظم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه وما استقصرت أحدا من المسلمين قط.

١٧.أم طلق:

من المتعبدات المجتهدات العارفات. كانت أم طلق تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منه جعل الله لي عليها سلطانا. وقالت أم طلق النفس مَلِك إن نعمتها ومملوك إن أتعبتها.

١٨- حسنا بنت فيروز:

من متعبدات اليمن. والمشتاقين وكانت كبيرة الحال. وكانت تقول: إلهي حتى متى تدع أولياءك تحت التراب والثرى ألا تقيم القيامة حتى تنجز لهم ما وعدتهم.

١٩- حفصة بنت سيرين:

أخت محمد بن سيرين. من متعبدات البصرة وكانت مثل أخيها محمد بن سيرين في الزهد والورع، كانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل ثم تقوم وتصلي في مصلاها فربما طفئ السراج ويضيء لها البيت حتى تصبح.

٢٠- لبابة العابدة:

من أهل الشام. كانت من أهل الورع والنسك. قالت لبابة: إني لأستحيي من الله تعالى أن يراني مشغولة بغيره بعد أن عرفته. قال وقالت: المعرفة لله تورث المحبة له والمحبة لله تورث الشوق إليه والشوق إليه يورث الأنس به والأنس به يورث المداومة على خدمته وموافقته.

٢١- رابعة الأزدية:

من أهل البصرة. كانت من كبار أصحابهم. خطبها واحد فحجبته، فاغتم. فتحمل عليها حتى أذنته فلما دخل قالت: يا شهواني أي شيء رأيت في من آلة الشهوة ألا خطبت شهوانية مثلك.

٢٢- فاطمة النيسابورية:[٤٩]

كانت من قدماء نساء خراسان. وكانت من العارفات الكبار. أثنى عليها أبو يزيد البسطامي[٥٠] وسألها ذو النون عن مسائل. وكانت مجاورة بمكة وربما دخلت إلى بيت المقدس ثم رجعت إلى مكة. لم يكن في زمانها في النساء مثلها.

هذا الصفاء الروحي بالإخلاص للّه ومعية اللّه والاستغناء باللّه هو ما نلمسه واضحا في قصة فاطمة النيسابورية التي عاشت في خراسان، وهي عابدة جليلة تتكلم في فهم القرآن وكانت من أولياء اللّه عز وجل.

---

[49] نِيسَابُور أو نَيْسَابُور (بالفارسية :نيشابور) هي مدينة في مقاطعة خراسان في شمال شرق إيران بالقرب من العاصمة الإقليمية، مشهد.تعتبر نيسابور عاصمة مقاطعة خراسان قديما.كانت في العصر العباسي من أشهر مراكز الثقافة والتجارة والعمران، وذلك قبل أن يدمرها زلزال أصابها سنة ٥٤٠ هـ، ثم أكمل خرابها غزو المغول لها سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١م)، وقد قال فيها ياقوت الحموي: (بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها).

[50] **أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي**، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، يلقب بـ "سلطان العارفين اسمه الفارسي "بايزيد" كما عرف كذلك باسم طيفور، كان جده شروسان مجوسيًا وأسلم، وله أخوان هما آدم وعلي. وكلهم زهاد عباد. ولد سنة 188هـ في "بسطام" في بلاد خراسان في محلة يقال لها محلة موبدان روى عن إسماعيل السدي، وجعفر الصادق توفي سنة 261هـ، عن ثلاث وسبعين سنة.

قد رويّ محيي الدين بن عربي عن العارفة فاطمة النيسابورية التي تعد نموذجاً للمرأة الفرد بصفائها الروحي وتعمقها في العلم وفهمها لأسرار القرآن الكريم ولمنازل الصوفية.

سئل ذو النون المصري[51] وسألته ما أجل ما رأيت؟ قال ذو النون: أجل ما رأيت من امرأة تعيش مجاورة في مكة يقال لها فاطمة النيسابورية، وكانت تتكلم في فهم القرآن وتعجبت منها. فسألت ذا النون عنها قال لي: هي وليّة من أولياء اللّه عز وجل. وهي أستاذتي فسمعتها تقول: من لم يكن اللّه عز وجل منه علي بال، فإنه يتخطي في كل ميدان ويتكلم بكل لسان وما كان اللّه منه علي بال أخرسه إلا عن الصدقة وألزمه الحياء منه والإخلاص وقال. قالت فاطمة: الصادق المقرب في بحر تضطرب عليه أمواج يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة.

وقالت فاطمة: من عمل للّه علي المشاهدة فهو عارف. ومن عمل علي مشاهدة اللّه إياه فهو مخلص.

وقال لها ذو النون. عظيني وقد اجتمعا في بيت المقدس. قالت فاطمة: الزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك.

وإذا راجعنا حياة فاطمة النيسابورية فقد ولدت في خراسان. وهي من شهيرات التصوف التي حكي عنها التاريخ. وسلكت طريق المعرفة باللّه. وكانت أميرة لكنها هجرت حياة الترف كابنة لأمير مدينة "بلخ". وتزوجت من الصوفي أحمد بن الخضروية، وتعلمت طريق التصوف.

---

[51] ثوبان بن إبراهيم، كنيته "أبو الفيض" ولقبه "ذو النون"، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري[1] ومن المحدثين الفقهاء. ولد في أخميم في مصر سنة 179هـ الموافق 796م وتوفي سنة 245 هـ الموافق 859م .درس على علماء عديدين وسافر إلى سورية والحجاز. يذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي وأنه أول من وضع تعريفات للوجد والسماع والمقامات والأحوال.

واجتمعت فاطمة النيسابورية بكبار المتصوفة في هذا العصر من أمثال ذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي في حلقات للذكر وللمذاكرة في أمور العرفان والتعبد.

وروي عنها عبد الرحمن جامي الفارسي في كتابه "نفحات الأنس". أنها قالت لذي النون المصري عندما رفض منها هدية أرسلتها إليه لأنها امرأة: إن الصوفي الحقيقي لا ينظر بعين الاعتبار إلي الأسباب الثانوية في هذه الحياة (أي المصدر الدنيوي للهدية). ولكن إلي العاطي الأوحد للكل سواء وهو اللّه عز وجل.

وفي رواية أخري شهيرة وردت عنها في "تذكرة الأولياء" لفريد الدين العطّار: أن فاطمة النيسابورية اعتادت أن تتحادث مع أبي يزيد البسطامي في أمور الطريقة والمقامات والأحوال حتي أتي يوم لاحظ فيه البسطامي أن فاطمة تضع "الحناء". بيديها وسألها عن سبب ذلك. قالت فاطمة: كنا نجالسك لأنك لم تكن تري فيها غير الروح. أما الآن تري زينتنا وامتنعت فاطمة عن الاجتماع به.

ويروي العارف باللّه أبو يزيد البسطامي عن فاطمة النيسابورية قائلا: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة. أما المرأة فهي فاطمة النيسابورية ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عيانا.

وعندما التقي أبو يزيد البسطامي بفاطمة مع زوجها أحمد بن الخضروية. قال أبو يزيد لأحمد: تعلم الفتوة من زوجتك هذه. وهي شهادة كبيرة من أبي يزيد بأن فاطمة بلغت مقاما يقصر عند الرجال لأن الفتوة قوة وتصرف واقتحام.

وقد سارت فاطمة مثل الأولياء من خراسان إلي المقدس، ثم جاءت في مكة وماتت أثناء قيامها برحلة العمرة إلي بيت اللّه الحرام عام ٢٢٣هـ.

٢٣- أم هارون الدمشقية:

كان أبو سليمان الداراني يقول: ما كنت أرى أن يكون بالشام مثل أم هارون. سئلت أم هارون أتحبين الموت؟ قالت: لا قيل: ولم؟ قالت: لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته. خرجت أم هارون من قريتها فسقطت فوقعت على حجر فظهر الدم على مقنعتها. فقال أبو سليمان من أحب أن ينظر إلى صعق صحيح فلينظر إلى أم هارون.

٦ جمعية المتصوفات المصريات ٥٢

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
(التوبة:٧١)

أُسست لأول مرة في تاريخ مصر جمعية صوفية للنساء فقط، تهدف كما أعلن المشاركة في حل مشكلات المجتمع، ومحاربة الفكر المتطرف، ومواجهة الداعيات السلفيات المنتشرات علي الفضائيات، وهذا التأسيس يكشف عن إحياء لدور المرأة عموماً، ودورها في حياة التصوف، عبر رؤية لأهمية التصوف في حياة المصريين علي نحو خاص.

الولية المصرية

عرفت اللغة العامية المصرية كلمة "ولية" علي نحو دارج للإشارة إلي المرأة في أدني مراتب انتمائها الطبقي، تلك المراتب التي تصل في قمتها إلي درجة "الهانم"، بل إن كلمة"ولية" في كثير من الأحيان ما عدت سُبة إذا ما نُوديت امرأة بها، ربما أدي هذا الموقف من معني الولية إلي استبعاد"محمد فرج" لها من قاموسه للألفاظ العامية المصرية، رغم احتفائه بما هو دون الولية من أسماء للمرأة المصرية، بيد أن الولية في أصل اللغة هي مؤنث "الولي"، هو الرجل الصالح كثير العبادة، جمعها "أولياء" **(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)** «٦٢» سورة يونس، بمعني القرب، وان كانت "ولية" لم ترد في أحد معاجم اللغة العربية

---

[52] عن عبد السيد بن أحمد الخطيب بتصرف

علي هذا النحو، إلا أنها الحالة الأنثوية لكل ما ينسحب علي الولي المـذكر مـن تراث صوفي، سواء كان نتاج تراكم عرفاني، أو نتاج تراكم الـصوفية كحركـة اجتماعية، أو نتاج الصوفية كنظام معارضة سياسي مسالم لا يستخدم العنف فـي سبيل التغير، فالولية هي العنصر الأنثوي للعالم الذكوري الصوفي، وعندما يكون الجذر الأولي لكلمة"ولية" التي تطلق علي عموم النساء في مصر مشتق من المرأة الولية الصالحة، فهذا يعكس إلي أي مدي كانت تحيط بالمرأة المـصرية درجـات القداسة، القداسة القادمة من أعماق التاريخ الفرعوني، حيث"إيزيس" ولية مـصرية تنقذ الوجود من الفناء لأنها قريبة من الكلمات المقدسة.

وعندما تجمعت بعض زوجات المشايخ والراغبات فى الالتحاق في جمعية تضم الصوفيات، تلقت هذه الجمعية نقدا عنيفا من بعض مشايخ الصوفية الرافضين للفكرة بدعوى أنها لا تتفق مع المنهج الصوفى التقليدى، لكن الأخوات لا يخفـين أن الإحساس بالخطر كان أحد أسباب ظهور فكرة الجمعية. بعض الفتيات اختـرن هذا الطريق بالفعل للابتعاد عن التفاصيل المربكة التى أصبحت تحيط التدين بشكل عام فى المجتمع، فانتقلن بالدين إلى مساحتهن الخاصة فى علاقة خاصـة بيـنهن وبين الله بعيدا عن التصنيفات وتقييم الآخرين.

سر جمعية المتصوفات

يبدو الأمر أنهن تابعات لأزواجهن الرجال الصوفيين، ولكن حقيقة الأمر أن المرأة هي الأصل في التصوف، والرجال هم التابعون، ولأن الإسـلام نـشأ فـي مجتمع ذكوري، لكان التاريخ احتفي بمتصوفات أكثر من احتفائه بالرجـال، بـل جاء ذكرهن علي هامش كتب طبقات الصوفية لـ"الشعراني"، و"أبو طالب المكي"، و"القشيري"، حتي د."عبد المنعم حنفي" في موسوعته، فالصوفية رقـة مـشاعر، ووجد، والمرأة أقرب من الرجل في هذا المذاق، فهي مخلوقة من الضلع الأعـوج في صدر آدم، هذا الضلع دليل علي كون المرأة مخلوقة من اقرب نقطة إلي قلـب الرجل، القلب رمز المحبة، والود، فهي مخلوق ليس فقط محل حب الرجل، وإنما كلها محبة بالنظر إلي موضع خلقها، فهذا أول أسرار النساء الصوفيات، أن الضلع المخلوقات منه ليس دليلاً علي العوّج؟ وإنما علي كونهن مصدر الحـب، ولكـن

المجتمع الذكوري أساء التأويل فرأي ما رأي في شكل الضلع الذي منـه خلقـت المرأة، وانتقص من قدرها.

كان"ذو النون المصري" يقول عن"فاطمة النيسابورية" إنهـا أسـتاذته، و"أم هارون" ولية بلغت في الولاية أنها كانت إذا رأت أسدًا كلمته فقالت له: "إن كـان لك في رزق فكل"، فكان يولي راجعًا، وزوجة"رياح القيسي" كانت قبـل صـلاتها للعشاء تتزين ثم تقول لزوجها: "ألك حاجة؟"، فإن قال:"لا" نزعت زينتها وأخـذت في الصلاة، وولية أخري فضلت أن يتزوج زوجها من أخري لأنها مشغولة عنه، وأعطته مالاً لذلك، و"عائشة بنت جعفر الصادق" من أوائل الوليات القائلات: "لئن أدخلتني في النار لآخذن توحيدي بيدي وأدور به علي أهل النار وأقول لهم وحدته فعذبني"، و"قوت القلوب" التي تحدثت بمشاهد الجنة قبل انتقالها، فجمعيـة النـساء الصوفيات تعد أول جمعية أسست علي المحبة والود الخالص.

الوليات الأمريكيات

في العام ١٩٩٣م، تم تأسيس منظمة نساء أمريكا الصوفيات، تحت رعايـة الجمعية الدولية للصوفية، وهي منظمة الأصل في تكوينها أن تكون منتـدي لكـل النساء الصوفيات من مختلف الثقافات العالمية، هدفهن دعم حقوق الإنسان عمومًا، وحقوق النساء خصوصًا، فروع تلك المنظمة منتشرة في جميع أنحاء العالم، وفي مصر، تسعي لرفع الوعي العالمي بحق المرأة في التعليم، وأهميتها في المجتمـع معتمدة في ذلك علي كون المرأة المسلمة لديها قدرة معرفية روحية علي التواصل في ظل مختلف الأديان، والثقافات، وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، وتتخـذ هذه المنظمة السيدة"خديجة" رضي الله عنها مثلها الأعلي، وقدوتها، لدورها الـذي قامت به عند ظهور الإسلام، ودعمها الروحي، والفكري لسيدنا "محمد صـلي الله عليه وسلم"، كما صدر منذ عامين كتاب"Sufi Women of America" النـساء المتصوفات الأمريكيات" تأليف عالم النفس الأمريكي، الإيراني الأصـل د."لاليـه باختيار" يستعرض فيه طريقة دخول النساء الغربيات في التـصوف، ودوافعهـن لتزكية النفس، وقام المؤلف بمقابلات مع سبع نساء مسلمات صوفيات أمريكيـات معاصرات، ليقارن بين حالتهن الصوفية، وتفسيرات علم الـنفس التقليـدي لتلـك

الحالات، وقد قوبل هذا الكتاب باستحسان كبير، يستعد حاليًا لإصدار موسوعة عن النساء في حياة سيدنا "محمد صلي الله عليه وسلم"، ليبدد الأفكار الشائعة عن المرأة في الإسلام لدي الغرب، حيث أحصي حتي الآن ستمائة امرأة كن ناشطات في صدر الإسلام أسهمن ايجابيًا في مجال الدعوة.

الولية الكبري

لا شك أن لفكر الولية الصوفية مذاقًا يختلف عن الولي، فها هي الولية الكبري"رابعة العدوية" تعد أول من تكلم في الحب الإلهي فقالت أبياتًا عدت ترجمان حال العاشقين:

"أحبك حبين حب الهوي	وحبًا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوي	فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك لي الحجب حتي أراكا
فما الفضل في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الفضل في ذا وذاكا"

فالمرأة هي خير من يتكلم عن الحب، فقالت "رابعة" رأيها في نوعي الحب الإلهي، الأول أنها تحبه لأنها تحبه لأجل الحب، والثاني لأنه جدير بالحب، فهي تحبه من طرف واحد، ولكنها لما أحبته لأنه أهل للحب كشف لها الحجاب، فتخطفتها أنوار الحضرة فغابت فيه، إنها الولية الكبري "رابعة" أول من علم الحب الإلهي، بلا واسطة، هذا هو حب الولية لان الولي قد يحبه بالواسطة، فيؤخذ عليه، أما الوليات فقد تمكن من حبهن حتي توقفن عن الذكر، فقد توحدن مع محبوبهن، بل إن الولية لحبها مذاق خاص فـ"رابعة" تحبه لا خوفًا من نار، ولا طمعًا في جنة، فهي قد حررت البشرية من عبودية الحب، ومن الحب التجاري الطامع في الجنة، لقد تعلمت منها البشرية عبادة الأحرار لأنه أهل للعبادة.

المعادلة الصعبة

الصوفية ترتقي فوق الخلافات، بل إنها نتاج ليس فقط قبول الجميع، ولكن الرضا عن الجميع، ومن أعظم ما ارتقت فوقه الصوفية هو ارتقائها فوق التصنيف البيولوجي للمرأة، والرجل، فهي حالة روحانية لا تقم وزنا للجسد أصلاً، فكيف تفرق بين أبدان العارفين ذكرانًا وإناثًا؟ أو كيف تكون الولية هي مرشدة لمريد لها

تدله علي الطريق، وترتقي به في معارج العارفين؟ لقد أجابت ببساطة شديدة وعفوية علي هذه الإشكالية الولية"عائشة بنت أحمد الطويل المروزية"، حين قيل لها :"إن فلاناً لم يقبل رفقتك"، وقال:" في قبول أرفاق النسوان مذلة ونقصان"، فقالت:" إذا طلب العبد التعزز في عبوديته، فقد أظهر رعونته"، وكان"ذو النون المصري" قد رفض رفق" فاطمة النيسابورية"(ت:٢٢٣هـ) فقالت:"ليس في الدنيا صوفي أخس ممن يري السبب"، لولا سماحة الفكر الصوفي، ما كان لجمعيات نساء الصوفيات أن تظهر إلي الوجود، في ظل مجتمع ينظر إلي المرأة ككائن من الدرجة الثانية، فالصوفية شعارها المساواة، بدءًا من الرجل والمرأة.

مخطوطة الوليات

في العام ١٩٩١م استطاع د."محمود محمد الطناحي" تحقيق مخطوطة نادرة بل وحيدة لـ "أبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري" (٣٢٥ - ٤١٢هـ) بعنوان"ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات"، كان قد عثر عليها بمكتبة مخطوطات جامعة الإمام"محمد بن سعود" بالرياض، صاحبها"السُلمي" كان شيخًا ورعًا، عني بالصوفية تأصيلاً فكريًا، وتأريخًا فله مؤلفه الشهير "طبقات الصوفية"، وله"السُلميات" التي تشمل علي ست وعشرين رسالة معظمها في علوم التصوف، ويعد"السلمي" علي مذهب الصوفي الكبير "الجنيد" شيخ صوفية بغداد، قام بجمع أقوال أربعة وثمانين ولية صوفية عابدة وصل إليه العلم بهن، منهن"رابعة العدوية" والتي كانت تستغفر الله من قلة صدقها في"استغفر الله"، و"أم هارون الدمشقية" التي صرحت بعدم حبها للموت، ولما سئلت عن السبب؟ قالت: "لو عصيت آدميًا ما أحببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟"، ومن العابدات الوالهات"ذكارة" من بغداد كانت تنشد: "همم المحب تجول في الملكوت والقلب يشكو والفؤاد صموت"، وغيرهن من الوليات الصالحات العابدات اللاتي يضربن المثل بروعة العشق الإلهي.

لا شك أن الإعلان عن تأسيس جمعية للنساء الصوفيات بمصر يحيي ذكري عظمة كيد النساء إذ جاء هذا الإعلان في ظل أجواء الخلافات بين الرجال حول مشيخة الطرق الصوفية! فربما يأتي يوم تكون فيه امرأة شيخة مشايخ

الطرق الصوفية في مصر، بينما يسير الرجال يحملون السبح والمباخر في موالـد الوليات، ويصيحون.

٧ سيّدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه

أما الإمام الشاذلي طريقـــــه....... في الفضل واضحة لعين المهتدي
قطب الزمان وغوثه وإمامـــــه...... عين الوجود لســان سرّ الموجدي
ساد الرجـــال فقصّرت عن شأوه....... همـــــم المآرب للعلى والسؤدد
فتلقّ ما يلقي إليـــك فنطقـــــه ....نطق بروح القـــدس أي مؤيـــد
وإذا مررت على مكان ضريحه .... وشممت ريح النـــد من ترب ندي
ورأيت أرضا في الفلاة بخضرة .... مخضرة منها بقاع الغرقـــــــد
والوحش آمنة لديه كأنهـــــــا .... حشرت إلى حرم بأول مسجـــد
ووجدت تعظيما بقلبك لو سرى .... في جلمد سجد الورى للجلمـــــد
فقل السلام عليك يا بحر الندى... ......الطامي وبحر العلم بل والمرشـــد
(شعر الإمام البوصيري)

قال الفقيه الشافعي المشهور "سراج الدين عمر بن عليّ المصري" المعروف "بابن الملقّن" (٨٠٤هـــ) في كتابه "طبقات الأولياء" في ترجمة الإمام "أبي الحسن الشاذلي" رضي الله عنه، أنّه عليّ بن عبد الله بن عبد الجبّار بن تميم، بن هرمز، بن حاتم، بن قصيّ، بن يوسف بن يوشع، بن ورد، بن بطال عليّ، بن أحمد، بن محمّد، بن عيسي، بن إدريس، بن عمر، بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله، بن الحسن المثني، ابن سيدّ شباب أهل الجنّة وسبط خير البريّة أبي عليّ محمّد الحسن بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، المعروف باسم أبو الحسن الشاذلي الضرير الزاهد نزيل السكندرية وشيخ الطائفة الشاذليّة، انتسب في بعض مصنفاته إلي الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فقال: كان كبير المقدار عالي المقام، له نظم ونثر ومتشابهات، وعبارات فيها رموز، صحب الشيخ نجم الدين بن الأصفهاني نزيل الحرم، ومن أصحابه الشيخ أبو العبّاس

المرسي، حجّ مرات، ومات بصحراء عيذاب في أوّل ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة.

وقال "السيوطي" (٩١١ هـ) في "حُسن المحاضرة"عند ذكر من كان بمصر من الصلحاء والزُهّاد والصوفيّة ما نصه: "الشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذليّة هو الشريف "تقيّ الدين عليّ بن عبد الله عبد الجبّار"، وقال الشيخ "تقيّ الدين بن دَقيق العيد" (من أبناء منفلوط، مركز أسيوط): "ما رأيت أعرف بالله من الشاذلي".

وقال المؤرخ "صلاح الدين الصفدي" في كتابه "نكت الهميان" إنّ المُترَجَم هو "عليّ بن عبد الله بن عبد الجبّار بن يوسف أبو الحسن الشاذلي (بالشين والذال المعجمتين وبينهما ألف وفي الآخر لام)، المغربي الزاهد نزيل الإسكندريّة وشيخ الطائفة الشاذليّة، وقد انتسب في بعض مصنّفاته إلي "عليّ بن أبي طالب" رضي الله عنه، وهو رجل كبيرُ القدر، كثير الكلام، عالي المقام، له نظم ونثر، وكان الشاذلي ضريرًا، وحجّ مرّات وتوفيّ رحمه الله تعالي بصحراء عيذاب قاصدًا الحج فدُفن هناك في أوّل ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة هجريّة".

وذَكَر "ابن المُلقّن" و"عبد الوهاب الشعراني" وغيرهما إنّ من مريديه القطب "أبي العبّاس المرسي" رضي الله عنه المدفون في الإسكندريّة. وأبو العبّاس المرسي شيخ "ياقوت العرشي" رضي الله عنهما. ولو لم يكن لأبي الحسن الشاذلي من المريدين إلاّ سيّدنا أبي العبّاس المرسي رضي الله عنه، وكذا لو لم يكن لأبي العبّاس المرسي من المريدين إلا ياقوت العرشي لكفاهما دليلاً علي عُلو كَعبهما ومقامهما، رضي الله عن الجميع.

كما قال "ابن الملقن" في وصفه: "الشاذلي، نسبة إلي (شاذُلة)، قرية بإفريقية (تونس)، الضرير الزاهد، نزيل الإسكندريّة، وشيخ الطائفة الشاذليّة. وقد وصفه الإمام العارف بالله "ابن عطاء الله السكندري" رضي الله عنه بقوله: "قطب الزمان، الحامل في وقته لواء أهل العيان، حُجّة الصوفيّة، عَلَم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، القطب الغوث الجامع، أبو الحسن عليّ الشاذلي".

وعن صفاته، رضوان الله عليه، يقول معاصروه: إنّه كان آدم الوجه، نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين، كأنّه حجازيّ، فصيح اللسان، عذب الكلام (راجع المواهب السَنيَّة). لقد كان أبو الحسن جميل المظهر جسمًا وملبسًا وكان فارسًا يركب الخيل ويقتنيها وكان غير متحرّج فيما يتعلق بالمأكل والمشرب من حيث النوع وإن كان يتحرّج كلّ التحرّج من حيث الحلّ والحرمة (عبد الحليم محمود، ١٩٦٧) وكان عالمًا أجمل ما يكون العلم وأعمقه، وكان مجاهدًا يقف مع الجيوش في الميدان يعمل علي إحراز النصر. وكان مكافحًا يعمل في الحرث والغرس والحصاد، وكان عابدًا أدّت به عبادته إلي قرب، قال هو عن حقيقته إنّه: "الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القرب".

هذا هو أبو الحسن، إنّه يمثّل شخصيّة المُسلم التي أحبَّ الله لكلّ فرد من خير أمّة أُخرجت للناس. وكان الشيخ يتحلّي دائمًا بالثياب الحسنة، كما كان رضي الله عنه لا يري طريق القوم موقوفةً علي العُزلة أو المرقعات أو الخرق، إنّما كان يراها في المنهج القرآني، فيلبس الفاخر من الثياب، ويتخذ أجود الدواب، والخيل الجياد. وكان يعلّم أصحابه هذا المنهج الرفيع في فهم الزهد وتذوّق التجرّد وقد دخل عليه مرة الشيخ "أبو العبّاس المرسي" وفي نفسه أن يأكلّ الخشن، ويلبس الخشن، فقال له: يا أبا العبّاس، اعرف الله، وكن كيف شئت، ومن عرف ربّه فلا عليه إنّ أكل هنيئًا وشرب مريئًا (تاج المدرّسة الشاذليّة).

مولده ونشأته

وُلد الشيخ الشاذلي، رضي الله عنه، في قرية من قُري قبيلة "غمارة" من إفريقية (اسم كان يُطلق علي المغرب العربي)، وهي قرية قريبة من مدينة "**سَبتة**" والتي- لا تزال للأسف- تقع تحت الاستعمار الأسباني[٥٣]. وغُمارة (بضمّ الغين وتخفيف الميم)، قبائل بربريّة تنتمي إلي قبيلة مصمودة الشهيرة في شمال أفريقيا،

[53] سبتة: أرض مساحتها حوالي ٢٨ كم٢ ومحاطة بالكامل بالأراضي المغربية، احتلتها البرتغال عام ١٤١٥ ميلادية، وبعد قرنين انتزعتها منها الأسبان عام ١٦٤٠ م، وهي لا تزال حتى الآن تحت الاحتلال الأسباني، وتعتبر إحدى أواخر معاقل الاستعمار في إفريقيا.

وقديمًا كان هذا الإقليم يشمل عدّة قبائل منها القبائل التي تقع في غرب بادس وقبائل الأخماس وبني زروال، وتطوان (ابن خلدون، ١٩٨٣).

وهناك اتفاق بين المؤرخين أن الشيخ الشاذلي، رضي الله عنه، قد وُلد عام ٥٩٣ هـ (١١٩٧ م)، ويوافق هذا الوقت أواخر عهد الملك "أبي يوسف يعقوب المنصور" من ملوك دولة الموحّدين التي كانت تحكم المغرب والأندلس وتونس. ومن المصادفات الحسنة أنّه في عام مولده قام الملك "العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيّوبي" بوضع الحاجز الخشبي الذي يحيط بصخرة المسجد الأقصى- فكّ الله أسره- لحمايتها بدلاً من الحاجز الحديدي الذي وضعه الصليبيّون. ومدينة "سبتة" تقع في المنطقة التي إليها ينتسب وليّ الله تعالي العالم الربّاني سيّدي "عبد الرّحيم القناوي" المولود سنة ٥٢١هـ. وينتهي نسب الشيخ أبي الحسن إلي الأدارسة الحسينيّين سلاطين المغرب الأقصى.

نشأ الشاذلي في هذه القرية الصغيرة وحفظ القرآن الكريم ودرس السنّة والشريعة وبرع فيهما براعةً شديدةً، ويُؤخذ من بعض الروايات أنّه، رضي الله عنه، اتجه في بداية حياته إلي دراسة العلوم المادّية التجريبيّة رغبةً في الحصول علي الغني الماديّ والثراء، ولكن الله ردَّه إلي ما قد يُسّر له من آفاق المعرفة، وغني الروح وثراء اليقين، مع إيقافه علي حقيقة الدنيا ودناءتها – كما هو الحال – في نظر العارفين لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

شعر أبو الحسن بالرغبة المُلحّة في القرب من الله وفي أن يستضئ قلبُه بنور المعرفة وفي أن يكشف الله له الحُجُب، وتَحمّل الرغبة في السفر وانتهي به المطافُ إلي بغداد، والتقي بالأولياء الصالحين ومنهم الشيخ "أبي الفتح الواسطي"، الذي مقامه في الإسكندريّة حاليًا. وذات يومٍ قال له أحد الأولياء: "إنّك تبحث عن القطب بالعراق مع أنّ القطب ببلادك فارجع إليها تجده"، فعاد من حيث أتي حتى وصل إلي غُمارة بتونس وتعرّف إلي الشيخ "ابن مَشيش"، رضي الله عنه، واستراح قلبه إليه إذ وجد فيه القطب الذي يبحث عنه، وقد رسم الإمام ابن مَشيش للشيخ الشاذلي مسيرة حياته، كما ورد في الأثر.

وتُجمع التراجم الخاصّة بالشيخ أنّه سُمي بالشاذلي نسبة إلي قرية (شاذُلة) الموجودة في الجمهوريّة التونسيّة، جنوب العاصمة تونس بحوالي ٥٠ كم. ويُروَي في سبب هذه التسمية قولُه: لما صحبت أستاذي سيّدي "عبد السلام ابن مَشيش"، قال لي: يا عليّ، ارتحل إلي إفريقية، واسكن بها بلدًا تسمي (شاذُلة) فإنّ الله يسمّيك الشاذلي. ومكث في شاذلة فترة من الزمن اعتزل فيها الناس وتفرّغ فيها للعبادة في **جبل زَغوان**، جنوب مدينة تونس. وقال له القطب الكبير "ابن مَشيش" الذي رسم حياة أبي الحسن فيما يستقبله من أيّام بعد الاعتكاف في شاذلة: "وبعد ذلك تنتقل إلي مدينة تونس ويؤتي عليك بها قبل السلطنة، وبعد ذلك تنتقل إلي أرض المشرق وبها ترث القَطابة". إنّ هذا المنهج الذي رسمه ابن مَشيش وهو ينظر إلي الغيب بنور الله، قد تحقق حرفيًا، فكانت رحلته إلي شاذلة رحلة صقلٍ لا بد منها، وفترة عبادةٍ ونُسك صحبه فيها الشيخ الصالح "أبو محمّد الحبيبي"، الوليّ المكاشف (ابن الصبّاغ، درّة الأسرار). ويروي سيّدي أبو الحسن كيفيّة نزوله من جبل زَغْوَان بشاذلة ومغادرة العُزلة، فيقول إنّه أُمر بأن يهبط إلي الناس لينتفعوا به.

أبو الحسن الشاذلي في مصر

وفي عام ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) خرج "أبو الحسن الشاذلي" إلي الحجّ وسافر إلي مصر عبر الإسكندريّة، وكان معه جماعة من العلماء والصالحين وعلي رأسهم الشيخ "أبو العبّاس المرسي" وأخوه "أبو عبد الله جمال الدين محمّد" و"أبو العزائم ماضي"؛ حجّ الشيخ الشاذلي وعاد إلي تونس وأقام بها ولحق به الشيخ "المرسي" ثم وفدوا جميعًا إلي مصر للإقامة الدائمة بها. يقول الشيخ "الشاذلي": رأيت النبيّ صلّ الله عليه وسلّم في المنام فقال لي: "يا عليّ انتقل إلي الديار المصريّة تربّي فيها أربعين صديقًا"، فاتّخذ من الإسكندريّة مقاماً له ولأصحابه. ولما قدموا إلي الإسكندريّة نزلوا عند عمود السواري وكان ذلك في عهد الملك "صالح نجم الدين أيّوب" (في عصر الدولة الأيّوبيّة). ومن الإسكندريّة كتب سيّدي أبو الحسن إلي بعض أصدقائه قائلا: "أكتب إليكم من الإسكندريّة، حرَسها الله ونحن في سوابغ نعم الله نَتقلّبُ".

لقد كانت إقامتُه بمصر مصداقًا لما نودي به حينما دخلها، وفي ذلك يقول الشيخ: "لما قدمت الديار المصريّة، قيل لي: يا عليّ: ذهبت أيّم المحن، وأقبلت أيّم المنن، عشر بعشر اقتداءً بجدّك (صلّي الله عليه وسلّم)".

كانت مصر في عصر أبي الحسن الشاذلي مليئة بأعلام التصوّف، ويمكن القول أن العهد الذي عاش فيه الشيخ الشاذلي يُعتبر وبحق أزهي عصور التصوّف، ليس فقط في مصر، ولكن في كافة أركان العالم الإسلامي، علي أنّ هذا لم يمنع وقوع بعض العلماء في الفتنة ولا أن يجعل التصوّف بمنجاة عن طعن الطاعنين، مما دفع الشاذلي إلي تأسيس مدرسة صوفيّة سُنّية الاتجاه لتعقد بذلك ألسنة الطعن، وتضفي علي التصوّف الطابع الذي يقرُّه الفقهاء كي تحافظ علي روح هذا الدين وروحانيّته المشرقة (فرحات، ٢٠٠٣).

استمرّ الشيخ يدعو إلي الله في مصر إلي أن كان شهر شوّال عام ٦٥٦ هـ الموافق ١٢٥٨ م، حين عقد الشيخ العزم علي السفر إلي الأراضي المقدّسة للحج، فصحب معه جماعةً من إخوانه وعلي رأسهم الشيخ "أبو العبّاس المرسي" و"أبو العزائم ماضي"، فلما وصل إلي "حُميثرة" بصحراء "عِيذاب" (الاسم القديم للصحراء الشرقيّة بمصر) جمع الشيخ أصحابه في إحدى الأُمسيات، وأوصاهم بأشياء، وأوصاهم بحزب البحر، وقال لهم: "حفّظوه لأولادكم فإنّ فيه اسم الله الأعظم".

ثم خلا بأبي العباس المرسي، رضي الله عنهما وحده وأوصاه بأشياء واختصّه بما خصّه الله به من البركات ثم وجّه الحديث لأصحابه قائلاً: إذا أنا مت فعليكم بأبي العبّاس المرسي، فإنّه خليفتي من بعدي وسيكون له بينكم مقامٌ عظيم، وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالي. وبات تلك الليلة متوجّهًا إلي الله تعالي ذاكراً، يسمعه أصحابه وهو يقول "إلهي، إلهي". فلما كان السَحَر سكَن، فظننا أنّه نام، فحرّكناه فوجدناه ميتًا، وجاء الشيخ أبو العبّاس فغسله، وصليّ الجميع عليه، ودُفن حيث توفاه الله (درّة الأسرار).

٨ زكية رضي الله عنها

يا بنت عبد المطلب	يا زكيّة من خير نسب
علوتي في غرف الكمال	صدقتي ستي في المقال
زكيـــة زكّي القلوب	وتداركي عند الخطوب
يا نسـل من عبد مناف	والحب ملأ الشغاف
والأصل ساداتي الأول	الغر من رقو للعلي
والأب حيدر زي المعال	والأم فاطمة الكمال

نسبها الشريف

هي السيدة الحسيبة النسيبة سليلة بيت النبوة الطاهرة الزكية السـيدة زكيـة بنت السيد عبد المطلب بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد التواب المكني بـصالح (الكائن ضريحه الشريف بجوار والده بقرية ميت مرجا مركـز المنزلـة دقهليـة مسقط رأس هذه الدوحة النبوية المباركة) بن السيد المكني بادريس بن السيد محمد التصيفاتي بن السيد مجاهد بن السيد محمد بن السيد عبد الله بن السيد القاسم بـن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد عباس بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد عبد الله بن السيد أحمد بن السيد القاسم بن السيد عباس بن الـسيد موسي الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زيـن العابدين بن مولانا الإمام الحسين السبط بن الإمام الغالب عزق الكتائب ومظهـر العجائب ليث بني غالب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنـه وكرم الله وجهه زوج سيدتنا السيدة فاطمة الزهراء بنت سـيد الكـونين وجمـال الثقلين وحبيب رب العالمين سيدنا محمد ﷺ.

حياة السيدة زكية ونشأتها

ولدت سيدتنا السيدة زكية، رضي الله عنها سنة ١٩٠٠م في قريـة ميـت مرجا مركز المنزلة دقهلية. تزوجت وأنجبت مثل بقية بنـات الريـف المـصري

وانضمت إلي الطريقة الشاذلية وعندما نضجت تجربتها الروحية تركت أهلها في الريف في بداية القرن العشرين وأقامت في درب الطبلاوي بحي الحسين بالقاهرة.

كان لها ثلاثة أخوة، الأول: مستشار، والثاني: لواء شرطة، وقد عمل مديرًا لأمن دمياط سنة ١٩٦١م وهو اللواء على عبد المطلب بدوى، والثالث أستاذ في جامعة الأزهر.

نشأت السيدة زكية رضي الله عنها في بيت علم وشرف وولاية. فكان أبوها علي قدر كبير من الصلاح والتقوي وكان من علماء الأزهر الشريف الأجلاء كما كان شديد الملازمة للعلماء والصالحين وارثًا للشيخ عمر عبد المطلب عن أجداده كابرًا عن كابرٍ، وكان أخوها اللواء علي بدوي الذي كان مدير أمن دمياط ومفتش الداخلية. وهي شقيقة عمر عبد المطلب والحاج محمد عبد المطلب بدوي وعبد المطلب بدوي الذي كان مستشارًا قانونيًا بالرياض، وكان والدها تاجرًا للأقطان، وهى من أسرة ثرية، وقد ورثت عددًا من الأفدنة من والدها.

كان لهذه البيئة التي نشأت فيها السيد زكية الأثر البالغ في توجيهها الوجهة العلمية الصحيحة.

تزوجت لمدة ثلاثة شهور في القرية ولكن الزواج لم ينجح. كان زوجها يضربها كل يوم ضربًا مبرحًا. وانفصلت منه، وتفرغت للدعوة.

تزوجت من قريبها الشيخ محمد المهدى وعمرها ١٨ سنة، وكان زوجها من علماء الأزهر الشريف وكان متزوجًا ولكنه لم ينجب، وأكبر منها بعشر سنوات، وظلت بعد زواجها لا تنجب لمدة ١٨ سنة، وفى إحدى الليالى رأت السيدة نفيسة، رضى الله عنهما فى المنام تبشرها بأنها سوف تنجب بنتًا تسمى نفيسة، وقد أنجبت الحاجة زكية بنتها الوحيدة نفيسة بعد ذلك.

أتمت حفظ القرآن وعمرها ١٦ سنة، وقد كافأها والدها بالسفر إلى الحج، والمعروف أنها حجت إلى بيت الله الحرام ٣٦ مرة.

وبعد ولادة ابنتها خشيت أن يشغل قلبها غير الله، فدعت ربها ألا يشغل قلبها إلا به، وعاشت ابنتها نفيسة مع زوجة أبيها، وكانت أمها تقول: يا رب أنا غائبة وأنت حاضر.

تزوجت ابنتها نفيسة من الحاج محمود شعبان الذي كان مديرًا ببنك فيصل الإسلامي، كما عاشت الشيخة زكية سنتين في ليبيا ثم سكنت سنتين في منفلوط (١٩٣٨- ١٩٤٠) مع أخيها رجل الشرطة.



شكل (٨-١): السيدة نفيسة وحيدة الشيخة زكية وبجوارها مؤلف الكتاب يوم الجمعة ١٢ فبراير ٢٠١٠ بساحة الشيخة زكية بقرية الشاذلي.

تحملت الشيخة زكية مسئولية خدمة الناس بمالها الذي ورثته عن أبيها علي مدار ٢٤ ساعة وأصبحت الشيخة زكية ذات مسئولية اجتماعية في مساعدة الفقراء وأصحاب الأزمات في كل وقت رغم غلظة البعض، ووفد إلي بيتها الكثير من المشاهير الذين تحولت حياتهم بكلمات وعظات بسيطة من الحاجة زكية تحولا كبيرا. أما نشاطها الرئيسى إلى جانب العمل الخيرى فكان الذِكر وتهيئة المكان لأصحاب الحضرة.

كانت، رضي الله عنها، زاهدة عابدة معتزلة للدنيا وبالرغم من آنها لم تكن متفقهة في الدين ولم تترك إنتاجًا أدبيًا مثل الصوفيات الشهيرات فإن مريديها لم يأتوا لزيارتها لطلب العلم بل كانوا يبحثون عن السكينة وراحة البال.

الشيخة زكية في حي الجمالية

كتب عبد الرحمن مصطفي في جريدة الشروق:

(قد لا يفصح المكان عن الكثير.. مجرد لافتة مدون عليها «ساحة أهل البيت» وفوقها اسم الحاجة زكية عبد المطلب بدوى، من الصعب فهم أبعاد الموقع أو تفاصيله إلا بعد معرفة سيرة صاحبة الساحة وقصتها، هنا فى درب الطبلاوى بحى الجمالية. لا يزال يتذكر البعض أنها كانت تطعم يوميا الفقراء وعابرى السبيل وتستضيف المريدين وأحباب أهل البيت، أما اليوم فتعمل ابنتها الحاجة نفيسة المهدى والحفيد أحمد محمود على إكمال ما بدأته صاحبة الساحة.

كانت هناك إشارات مبكرة على شفافيتها وهو ما زادها تعلقًا بأضرحة آل البيت، وأصبحت تأتى بصورة شبه يومية من بلدتها فى الدقهلية إلى القاهرة، حتى جاءتها رؤية صالحة دعتها فيها السيدة زينب للزيارة والإقامة إلى جوارها، فاعتزلت الدنيا وأقامت ساحة للذكر وإطعام الطعام).

تلخص الحاجة نفيسة قصة والدتها بهذه الكلمات التى تكاد تحاكى السير الشعبية لصوفيات وعارفات بالله توارين فى ظلال التاريخ ولم يبرز منهن سوى القليل من أمثال رابعة العدوية وعقيلات آل البيت. لا تزال الابنة تتذكر الشخصيات التى وفدت إلى هذا المكان من المشاهير الذين تحولت حياة بعضهم بكلمات طمأنة وعظات بسيطة، أما نشاطها الرئيسى إلى جانب العمل الخيرى فكان الذكر وتهيئة المكان لأصحاب الحضرة.

«امرأة تركت أهلها فى الريف فى بدايات القرن الماضى وأقامت هنا وتحملت مسئولية خدمة الناس على مدار ٢٤ ساعة وأصبحت عليها مسئولية اجتماعية فى الإنصات إليهم فى كل وقت، رغم غلظة البعض. كل تلك الأمور أجدها اليوم منهكة لى ولوالدتى حين حاولنا استكمال مسيرة الشيخة زكية».

بهذه الكلمات يصف الحفيد أحمد حياة جدته الشيخة زكية التى توفيت فى العام ١٩٨٣، بعض تفاصيل القصة تحمل الملامح التقليدية للمرأة الزاهدة المتصوفة التى ذاع صيتها بين الناس لكرمها وكراماتها، هذه الصورة بدأت فى الانحسار.

بعض العلماء ذوى الميول الصوفية جذبتهم قصة الشيخة زكية بعد أن عرفوها كزاهدة معتزلة للدنيا، من هؤلاء الشيخان الراحلان محمد متولى الشعراوى ومحمد صادق العدوى خطيب الجامع الأزهر، لكنها لم تكن عالمة مثلهما فى مجال الدين، ولم تحمل فلسفة أو إنتاجًا أدبيًا مثل الصوفيات الشهيرات.

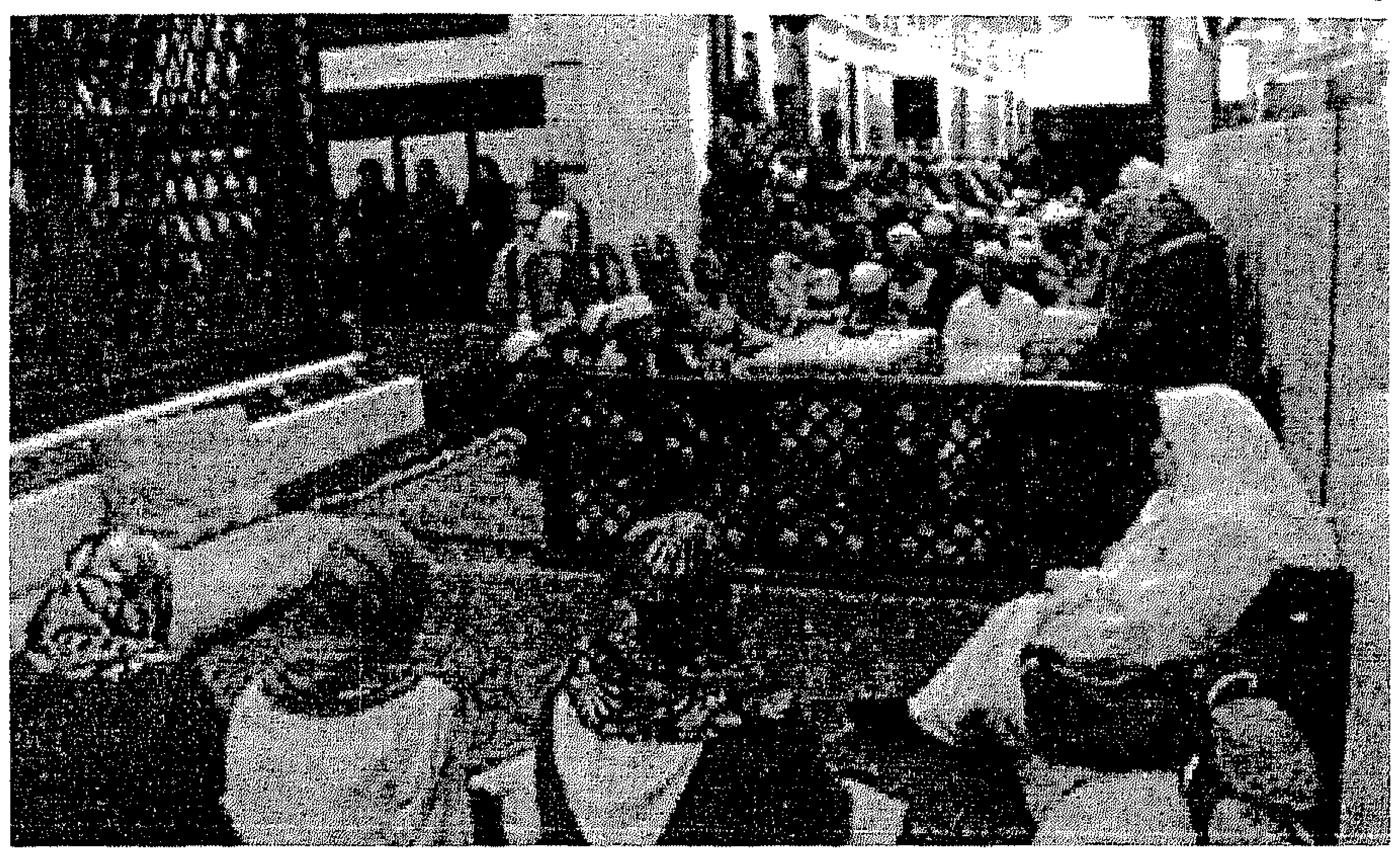
تقول ابنتها نفيسة المهدى: كان يمكن ألا نراها لمدة عام ونصف، لكننا كنا متفهمين ذلك لأننا أبناء طريقة وعلمنا أنها من أهل الكرامات.«

في درب الطبلاوي بحي الجمالية في قلب القاهرة الإسلامية لا يزال أهل الحي يذكرون الحاجة زكية بنت الدقهلية التي تركت بلدها وأهلها وأحضرت ميراثها لتصبح في خدمة الفقراء والمساكين وعابري السبيل وأحباب أهل البيت واستضافة المريدين ثم ورثت ابنتها نفيسة بعد وفاتها وحفيدها أحمد محمود وحفيدتها زينب محمود سيرتها وإكمال ما بدأته الحاجة زكية التي تحولت الساحة إلي اسمها بعد وفاتها.



شكل (٨-٢):السيدة زينب محمود حفيدة الشيخة زكية وابنتها حبيبة في غرفة الشيخة زكية في الساحة التي أقامتها في قرية أبو الحسن الشاذلي، الجمعة ١٦ مارس ٢٠١٢

وتحاكي قصة الحاجة زكية السير الشعبية للصوفيات والعارفات بالله اللاتي خدمن المسلمين ثم توارين في ظلال التاريخ ولم يبرز منهن إلا القليل أمثال رابعة العدوية.



شكل (٨-٣): فى درب الطبلاوى بحى الجمالية [٥٤]

كانت الشيخة زكية فى حى الجمالية تحيى صورة المرأة الصوفية الناسكة الزاهدة التى بدأت فى التلاشى، وتكفى نظرة على خلوتها التى كانت محل ذكر وتسبيح حتى تنقل إلى الجالس فى حضرة الشيخة إحساسًا بأنها كانت نموذجًا يحاكى عقيلات آل البيت والعابدات الأوائل، أما اليوم فهناك من احتفظت بتصوفها فى قلبها، وهناك من تحاول رسم صورة جديدة للمرأة الصوفية أكثر تماشيًا مع الواقع.

كانت الحاجة زكية لا تركن إلى الكرامات ولا تحب التحدث عنها، فإن ذلك لأهل البدايات فى الطريق، وكانت تقول إن الكرامات كلعب الأطفال لا يجب التمسك بها، وكانت تكره الظهور، وقد كُفَّ بصرُها فى السنين الأخيرة من عمرها وكانت صابرة، وهذا ما حدث لشيخها أبى الحسن الشاذلى، فقد كُف بصره، ولكنه

---

[54] عن عبد الرحمن مصطفى وهبة خليفة من الانترنت بتصرف.

شارك رغم ذلك فى معركة المنصورة ضد الصليبيين وكان يقول (انقلب بصرى فى بصيرتى فأصبحت كلى مبصرًا بالله).

وكانت الشيخة زكية محل احترام الأمير محمد الفيصل الذى سمح لها بزيارة المملكة العربية السعودية للحج بدعوة مفتوحة منه، وكان سبب ذلك أن زوجته المصرية كريمة عبد الرحمن عزام، أول أمين عام للجامعة العربية، أنجبت ولدًا كان مريضًا وحالته ميئوس منها، ولكن تم شفاؤه بفضل الله بعد زيارته للحاجة زكية، حيث قامت بالدعاء له وقراءة القرآن.



شكل (٨-٤): الشيخة نفيسة نجلة الشيخة زكية في ساحتها بين مؤلف الكتاب والدكتور عبد الله عبد المجيد،الأستاذ بكلية العلوم جامعة أسيوط فبراير ٢٠١٠م.

وتؤيد هذه الرواية الباحثة: عبير عبد الرحمن[٥٥] التى أعدت رسالة للماجستير بعنوان: (دور المرأة فى التصوف الإسلامى)، وتقول: إن أخوة هذه

[55] عبير عبد الرحمن: دور المرأة فى التصوف ص ٣٥٥ وص ٣٦٠ (رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ٢٠٠١م).

الزوجة المصرية هم: حاتم عزام ومحمود عزام، كانوا من مريدى الحاجة زكيـــة، وقد اطلعت الباحثة علي جواز السفر الخاص بالحاجة زكية وعليه تأشـــيرة مـــن الأمير بمنحها حق زيارة المملكة العربية السعودية وقتما تـــشاء وأطلعـــت عليـــه أستاذها الدكتور مصطفى حلمى أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعـــة القاهرة.

وتضيف حفيدتها القول إنها طلبت من الأمير محمد الفيـــصل إنـــشاء بنـــك إسلامى فى مصر، وقد تم بفضل الله إنشاء بنك فيصل الإسلامى بمصر.

وعن كرامات الشيخة زكية كتبت الباحثة عبير عبد الرحمن في رسالتها ما يلي: (لقد ذكر مريدوهـــــا الكثير من الكرامـــات عنها واقتصرت علي ما رواه د. فتحي منصور والأستاذة وداد[56] علي سبيل المثال لا الحصر، وأتت معظمه في صورة رؤيا صالحة تتحقق بفضل الله منها ما ذكره د. فتحي منصور، أنه في أول زيارة له إلي أبي الحسن الشاذلي غلبنا النوم فرأيت في المنام أن الطريق من منطقة تسمي سيدي سالم إلي وادي حميثرا[57] شرق ادفو واسع جدا ومرصوف، هذا علي الرغم من أنه في الحقيقة عكس ذلك تماما، فأخبرتها بما رأيت فقالت: بارك لأمك فقد رسا عليها العطاء لتعمير وادي حميثرا وجعله مدينة، وكأنها تخبر أن المكان سيعمر بسببها، لذا فإنها استمرت في المكان شهرين وقد تم فيها فعلا رصف الطريق وبناء ساحتين فيهما فعلا، وقد عاونتهما علي ذلك برجالي هذا بالإضافة إلي ما سبق من الرؤيا التي حدثت للحاجة زكية نفسها من أنها ستنجب بعد أن ظلت عقيمًا فترة طويلة.

---

[56] تقول الأستاذة وداد حماة حفيدتها (عن نفسها) بأنها كانت بعيدة كل البعد عن طريق الهداية حيـــث كانـــت تلبس الملابس غير الملتزمة بالمواصفات الشرعية حتي تعرفت علي الحاجة زكية فكانـــت ســـببا جعلـــه الله لهدايتي.

[57] وادي حميثرة يقع على بعد ١٥٠ كم غرب مرسي علم- الطابية الإسلامية بالقصير بمحافظة البحر الأحمر.ترجع شهرة هذا الوادى لوجود ضريح أبو الحسن الشاذلي- ومع اقتراب عيد الأضحي يستعد أكثر من مليون مواطن أغلبهم من الصعيد لزيارة محافظة البحر الأحمر تمهيدًا لزيارة وادى حميثرة .

٩ السفر إلى ليبيا والإقامة فيها

يا ربي يا واحد سلمنا**وفرائض التقوى علمنا

يا ربي يا واحد وفّقنا**ومن محرقات النار اعتقنا

ومن جنة الفردوس ارزقنا**وفي القبر آنسنا وارحمنا

يا ربي يا واحد أرشدنا**ومن شر كل عذاب أبعدنا

واقضي حوائجنا وأسعدنا**يا ربي يا واحد زكينا

ويوم القيامة لا تبكّينا **نحن عبيدك وليك شكينا

أعطف علينا ولا تحرمنا **يا ربي يا واحد سامحنا

(من قصائد الشيخ عبد السلام الأسمر)

يروى لنا تلميذها الذى رافقها فى الإقامة فى حميثرا حتى واراها الثـرى، الشيخ محمد عبد اللطيف الباز إنها، رضى الله عنها، سـافرت إلـى ليبيـا سـنة ١٩٣٨م وأقامت فى مدينة "زليتن" الليبية[٥٨] بجوار مسجد ومقام شيخها الشيخ عبـد السلام الأسمر لمدة عامين بعد أن طلب منها ذلك أحـد أسـاتذتها فـى الطريقـة الصوفية التى تسلكها وهى الطريقة (الشاذلية) التى تنسب إلى الشيخ عبد الـسلام الأسمر الفيتورى[٥٩]، وهو حفيد الشيخ عبد السلام بن بشيش[٦٠]، من جهة الأم، وقـد مدحه الشيخ صالح الجعفرى بقوله:

---

[58] مدينة زليتن تقع على الساحل الغربي لليبيا، على مسافة ١٥٠ كم تقريبًا شرق العاصمة طرابلس، تحدها من الغرب مدينة الخمس، مصراتة شرقًا، بني وليد جنوبًا، والبحر المتوسط شمالاً. بلغ عدد سكانها حسب إحصاء ٢٠٠٦ حوالي "١٨٤ ألف" نسمة، واشتهرت المدينة بكونها المركز الأبرز في البلاد لتعليم الفقه المالكي وتحفيظ القرآن في واحدة من أهم المؤسسات التعليمية في البلاد على مر ٥٠٠ عام، وهي زاوية سيدي عبد السلام.

[59] الشيخ عبد السلام الأسمر: بن سليم الفيتوري الإدريسي الحسني . يعدّ من أهم علماء ودعاة الإسلام في القرن العاشر الهجري، فهو من فقهاء المالكية وعالم في عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أبرز شيوخ التربية والسلوك على منهج أئمة التصوف .وأحد أهم ركائز الحركة العلمية والدعوية في المغرب الإسلامي، يتضمّن منهجه الدعوي والإصلاحي الاهتمام بمختلف طبقات المجتمع ولم ينحصر في الطبقة المتعلمة، الأمر الذي جعله قائدًا

زليتن قد أضاءت منك حقًا   كمثل الشمس جاء بها النهار

وكان الشيخ أحمد زروق وهو عمدة الصوفية وصاحب كتاب (قواعد التصوف)، وصاحب الوظيفة الزروقية المعروفة، يذكره ويثني عليه، ويقول عن عبد السلام "سلطان زمانه".

وللشيخ عبد السلام الأسمر آداب للذكر هي:

١- **آداب قبل الذكر:** التوبة وطرد النفس وتنظيف القلب من الغش والمنكر وما شابه ذلك لأن النور والظلمة لا يجتمعان.

٢- **آداب أثناء الذكر:** الإخلاص وأن لا يذكر رياءً ولا سمعة، وإنما يذكر الله محبة وتعظيماً للمحبوب سبحانه وتعالى، وتطييب المجلس بالعطر، لأجل حضور الملائكة. والجلوس كهيئة الصلاة إذا كان الذكر فى جماعة ووضع اليدين على الركبتين، وتغيض العينين عن المحسوسات، وتخيل الذاكر أن شيخه بين عينيه ويعتقد أنه يستمد منه وهو يستمد من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- **آداب بعد الذكر:** الدوام على حضور الذكر فى القلب، وأن يسكت منتظرًا للوارد والفيض الذى يحصل بعد الفراغ من الذكر، وتسمى عند أهل الطريق (النومة) والذكر إذا كان مشروطًا بآدابه ومع أهله يحصل منه جلاء القلب ما لا يصل بالمجاهدة ثلاثين سنة، عليكم بكثرة الذكر بلا عدد[٦١].

روحيًا وبمثابة حجر زاوية لرسوخ الإسلام في المغرب الإسلامي، وبعد مضي خمسة قرون على وفاته فإن أثره لا يزال واضحا ومؤثرا على الصعيدين العلمي والاجتماعي.

[60] **الشيخ عبد السلام بن بشيش:** هو بن أبى بكر الحسنى الإدريسى وهو أستاذ الأقطاب الثلاثة سيدى إبراهيم الدسوقى وسيدى أحمد البدوى وسيدى أبى الحسن الشاذلى، ومقامه فى أرض المغرب كمقام الشافعى فى مصر.

[61] أحمد حامد عبد الكريم الشريف: النفحات الشاذلية والأسرار الأسمرية ص ٨١-٩٨ (مطبعة الفجر الجديد بالدراسة، مصر).

١٠ الرحيل إلى حميثرا حيث مقام الشاذلي

أتيت رحابكم أنتم مرادي — أتيت وعندكم مني فؤادي
أتيت وقد علا قلبي سواد — ومن ذا غيركم يجلي سوادي
رسول الله قد أذنبت حتى — وصار الذنب دأبي واعتيادي
ولكن يا حبيب الله حاشا — يكون الذنب عن أثر العناد
وحاشا أن أضام لديك طه — وجودك سيدي سند العباد
وقالوا عادة السادات تأبى — ترد عبيدهم دون ازدياد

كانت أول زيارة للشيخة زكية لقبر سيدي أبي الحسن الشاذلي سنة ١٩٣٩م حيث جاءت إلى حميثرا عن طريق دراو على ظهور الجمال مع السادة الأدارسة[٦٢] المقيمين بدراو[٦٣]، وكان ميعاد زيارتها للشاذلي هو ١٥ شعبان من كل عام.

وقد كان الطريق إلى سيدى أبي الحسن وعرًا جدا، ويقطع المسافر إليه وقتًا طويلا حتى يصل إليه فى وادى حميثرة بصحراء عيذاب. وكانت، رضي الله عنها تسافر إليه مرتين فى العام لمساعدة العرب الموجودون هناك والذين لا يعرفون شيئا عن الحياة خارج الصحراء، وقامت ببناء خدمة ثانية هناك على

62 السادة الأدارسة: مؤسس السلالة إدريس بن عبد الله الكامل من أحفاد الرسول محمد (ص)، نجا بنفسه من مذبحة فخ، التي أقامها العباسيون للعلويين سنة ٧٨٦ م. فر إلى وليلى (بالمغرب). تمت مبايعته قائدًا وأميرًا وإمامًا من طرف قبائل البربر في المنطقة. وسع حدود مملكته حتى بلغ تلمسان (٧٨٩ م). قام الخليفة العباسي هارون الرشيد بتدبير اغتياله سنة ٧٩٣ م. لإدريس الأول (مولاي إدريس في المغرب) مكانة كبيرة بين المغربيين. ويعتبر قبره في وليلى (مولاي إدريس اليوم) مزارًا شهيرًا.

63 دراو: تقع مدينة دراو شمال مركز أسوان بحوالى ٣٧ كم وتبعد عن مركز كوم أمبو حوالى ٧كم تقريبًا ومن أشهر معالم مدينة دراو ضريح ومسجد الشيخ عامر ويتم الاحتفال به في النصف من شعبان من كل عام، كانت تشتهر بأهم سوق للإبل بين مصر والسودان.

مستو أكبر، وفى مولد سيدى الشاذلى كان يتجمع معها أعــداد لا تعــد مــن كــل الطرق.

بدأت الشيخة زكية فى بناء ساحة عامة فى حميثــرا عـــام ١٩٧٩م، وقــد عارض الكثيرون البناء فى هذا المكان الموحش، ولكنها أصـــرت علـــى البنـــاء، وكانت تقول: إن هذه البقعة ستصبح مدينة عالمية، وإن مسجد الــشاذلى ســيكون أكبر مسجد فى المستقبل، وسيكون لهذه المنطقة ثلاثــة طــرق للوصـــول إليهـــا، وسيصلها الإرسال التلفزيوني، وسيفتتح فيها فرعٌ لجامعة الأزهر.

ساعد الحاجة زكية فى عملية البناء أحد رجال ادفو وهو الحاج ناصر حسن على[٦٤] عضو مجلس الشعب عن دائرة إدفو وزعيم قبائل العبابدة، وقد تكلف بنـــاء هذه الساحة ١٣ ألف جنيها، وتم افتتاحها فى نوفمبر ١٩٧٩م، وكانت قبائل العبابدة تحضر فى أوقات قليلة من السنة مثل مولد الشيخ أبى الحسن الــشاذلى، أو فـــى نصف شعبان إلى هذه المنطقة.

استقرت الحاجة زكية لمدة ثلاث سنوات قبل وفاتها فى حميثـــرا، وكانـــت تقول إنها لا تحس بالبرد ولا بالحر فى هذا المكان، وكانت تصلى الفجر والمغرب والعشاء فى مسجد الشاذلى وتصلى الظهر والعصر فى حجرتها فى الساحة.

---

[64] **الحاج ناصر**: كبير العبابدة، كان يعيش في قرية جنوب ادفو علي حدود الوادي مع الصحراء. تعرفت عليه عام ١٩٥٨ عندما كنت أعمل في منطقة مرسي علم، وقد ساعدني كثيرا في تدبير العمالة التي كنت أحتاجها.. يعرفه جميع الجيولوجيين الذين يعملون جنوب الصحراء الشرقية.



شكل (٩-١): مؤلف الكتاب مع محمد عبد اللطيف
الابن الروحي للشيخة زكية أمام غرفة ضريحها

كانت القبائل التى تسكن هذه المنطقة يحضرون لها عسل النحل الطبيعى ولبن الجمال وهذا كان الطعام الرئيسى لها.

فى سنة ١٩٨٢ م بدأت وزارة الأوقاف ترسل إمامًا يمكث شهرين فى هذه المنطقة ثم تغيره بإمام آخر.

حضر إليها قبل وفاتها الشيخ أحمد فرحات إمام مسجد الحسين، والشيخ إسماعيل صادق العدوى إمام الجامع الأزهر، والشيخ إبراهيم جلهوم إمام مسجد السيدة زينب ومعهم الحلوانى المشهور عبد الرحيم قويدر، وطلبوا منها الرجوع إلى القاهرة ولكنها رفضت.

كما كان يأتى إليها فى ساحتها فى حميثرا مدّاح الرسول الفنان الكبير الحاج محمد الكحلاوى ويشدو أمامها برائعته المعروفة: "لأجل النبى...لأجل النبى.....تقبل صلاتى على النبى".

ويروى لنا تلميذها محمد عبد اللطيف الباز: أن اللواء ثروت عطا الله[٦٥]، واللواء سعد مأمون[٦٦] كانوا من المحبين لها فاتصلوا بالفريق يوسف عفيفى محافظ

[65] ثروت عطا الله محافظ الفيوم وسوهاج سابقا

البحر الأحمر وطلبوا منه رعاية الحاجة زكية، فقام بزيارتها، وسألها لماذا تقيم في هذه المنطقة ودعاها للإقامة في مجاويش بالغردقة بدلاً من حميثرا، فأنكرت عليه هذا الطلب منها، وغضبت غضبًا لم يُعهد منها من قبل، ولما سألها: هل لك مطالب؟ أجابت: رصف طريق الشاذلى، وعربة مياه عذبة للقبائل التى تسكن هذه المنطقة.

كان للشريفة زكية عبد المطلب بدوى خدمة مفتوحة أربعة وعشرين ساعة لإطعام الفقراء وإيواء الذين لا مأوى لهم، وهى ابنة سيدى أبو الحسن الشاذلى في الله، وقد كان الطريق إلى سيدى أبو الحسن وعرًا جدا ويقطع المسافر إليه وقتًا طويلا حتى يصل إليه فى وادى حميثرة بصحراء عيذاب[٦٧].

كانت تسافر إليه مرتين فى العام لمساعدة العبابدة الموجودين هناك، والذين لا يعرفون شيئا عن الحياة خارج الصحراء، وقامت ببناء خدمة ثانية هناك على مستوى أكبر، وفى مولد سيدى االشاذلى كان يتجمع معها أعداد لا تعد من كل الطبقات والجنسيات وبدأ الناس يذهبون طول العام لوجود خدمتها مفتوحة على مدار العام. كان ممن يزورونها الشيخ متولى الشعراوى وغيره من علماء العالم العربى والاسلامي كما كان يفد إليها مجموعات من السياح الألمان حدثت لهم أشياء لم يتصوروها، ويقال إن أحدهم استيقظ وقد حفظ بردة البوصيرى وعادوا معها إلى القاهرة وأشهروا إسلامهم وأصبحوا من أولادها فى الطريق.

يقول ربيبها الحاج محمد عبد اللطيف إنها كانت تتشبه بالرسول عليه الصلاة والسلام فى كل شيء، فى حنانة وكرمه وعطائه وحلمه، فقد كان يأتى إليها من يهاجمها ويسبها فتضحك، وتقول له مَدَدْ، أنت من الأولياء وتبدأ في تهدئته حتى يلين وينجذب إليها ثم يصبح من أخلص أولادها. ويستطرد محمد عبد

---

[66] **سعد مـأمون** (١٤ مايو ١٩٢٢ –٢٨ أكتوبر ٢٠٠٠م) قائد عسكري مصري، شارك في حرب أكتوبر 1973 وتسلم قيادة القوات العربية في حرب اليمن ١٩٦٦ وقائد الجيش الثاني الميداني في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهو قائد قوات الخطة "شامل" التي حاصرت الإسرائيليين في الدفرسوار. عمل محافظًا لمطروح والمنوفية والقاهرة من ١٩٧٥ حتي ١٩٨٣ عين بعدها وزيرًا للحكم المحلي في مارس ١٩٨٣.

[67] **صحراء عيذاب**: اسم قديم للصحراء الشرقية، كان يوجد ميناء اسمه ميناء عيذاب كان يحج منه سيدي أبو الحسن الشاذلي والحجاج القادمون من المغرب العربي. اندثر الميناء تماما في عهد المماليك.

اللطيف قائلا: لا أعرف ماذا أحكي وماذا أقول فى سيدة من آل البيت، صورة من عقيلات آل البيت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام، وكانت تربيتها لأولادها بالنظرة كانت المنطقة هناك ليس لها اسم أو عنوان حتى بدأ المسئولون يهتمون لكثرة الزوار وطلبت من المحافظ أن تقوم المحافظة برصف الطريق الموصل إلي هناك، وأقامت، رضى الله عنها مدفنًا ومقامًا بجوار شيخها سيدى أبو الحسن، فرصفت المحافظة الطريق حتى مقامها الطاهر

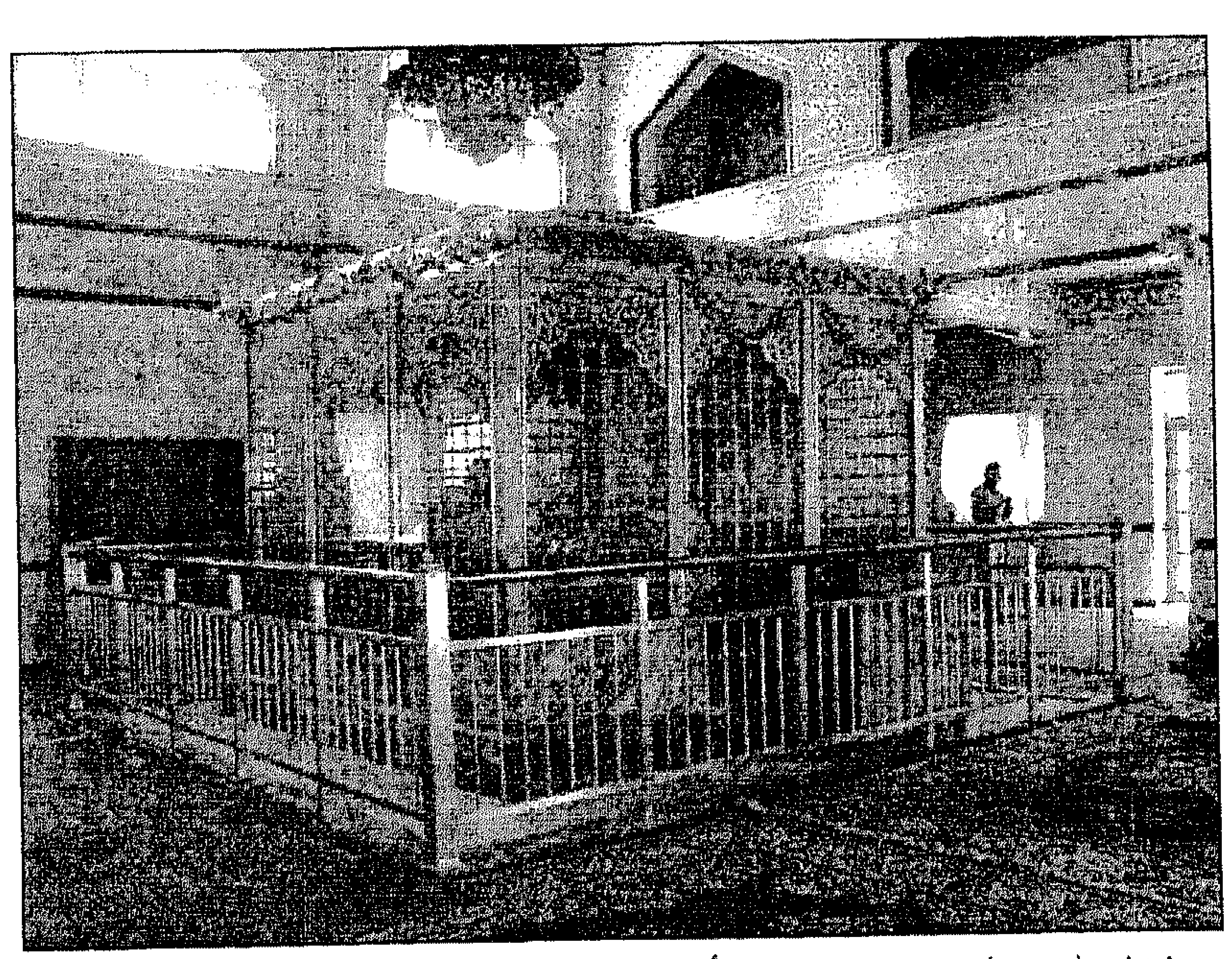
وتمثل قصة الحاجة زكية مزيجًا من الصورة الشعبية للعارفة باللّه وجرأة المرأة الزاهدة في الإسلام. وتحاكي قصة الحاجة زكية السيّر الشعبية للصوفيات والعارفات باللّه اللاتي خدمن المسلمين ثم توارين في ظلال التاريخ ولم يبرز منهن إلا القليل أمثال رابعة العدوية.



شكل (٩-٢): غرفة الشيخة زكية تزينها صورتها في آخر أيامها، يجلس علي الأرض الحاج محمد البهنساوي والمستشار عثمان يوم الجمعة ١٢ فبراير ٢٠١٠م.

لاشك أن أولياء الله الصالحين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اتقوا الله فخلد أسمائهم وتضرعوا إلى الله فى حالة العسرة نصرهم الله ورفع قدرهم وكلهم من علماء الدين والتفسير برعوا فى نصح وهداية الأمة المحمدية.

تحتفل الشاذلية بمولد الإمام أبو الحسن الشاذلى وتذهب إلى مقامه فى منطقة مرسي علم على بعد ١٢٥٠ كيلو مترا من الإسكندرية، ويقع المقام فى نجع صغير يطلق عليه حميثرة على ربوة عالية وتربو المساحة التى يقع فيها المقام نحو عشرة أفدنة ويحيط به مقامان آخران: مقام الشيخ على الشريف ومقام الشيخة زكية ويوجد بعض البيوت الواسعة لاستراحة المحبين والمريدين كل عام.



شكل (٩-٣): ضريح سيدي أبو الحسن الشاذلي في وادي حميثرة

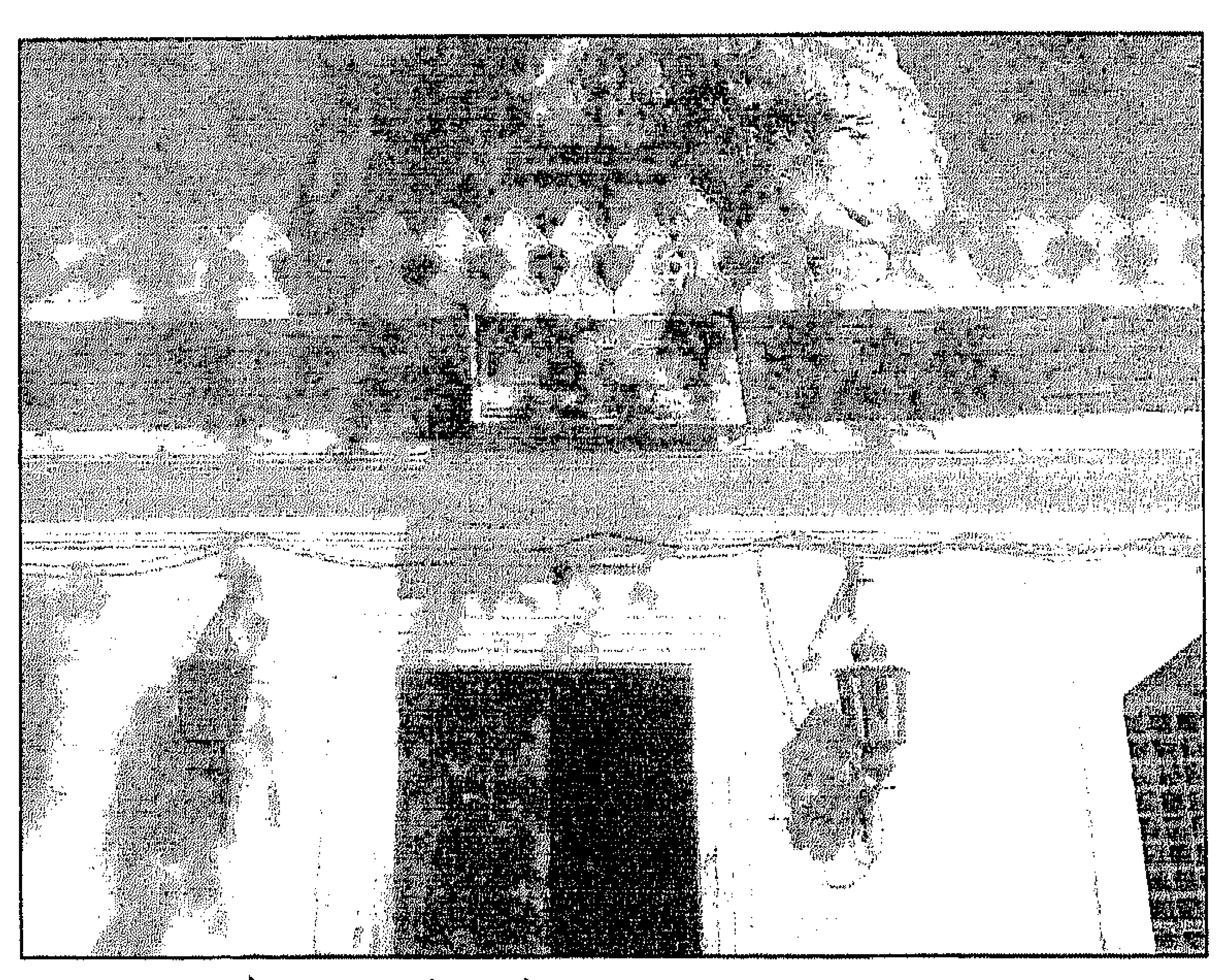
يقطع الزائر لمقام الشيخ أبو الحسن الشاذلى من القاهرة مسافة ١٠٠٠ كيلومتر تقريبا ليقضى يوما كاملا بزيارة المقام.

سئل الأستاذ الشيخ الأكبر العارف بالله تعالى، سيدي أبو الحسن الشاذلي، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته وحشرنا في زمرته، عن معنى أبيات الغوث الأكبر للشيخ سيدي محي الدين بن العربي، رضي الله عنه وهي قول "تطهر بماء الغيب

إنّ كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد على الصخر وقدّم إماما كنت أنت إمامه وصلّ صلاة الظهر في أول العصر فهذي صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر"، فأجاب رحمه الله بما نصّه:

(المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية، وماء الغيب هو خلوص التوحيد، فإن لم يخلص لك بالعيان فتطّهر بصعيد البرهان، وقدم إماما كان يوم الخطاب إمامك، ثم صرت أنت إمامه بعد سدّ الحجاب، وصلّ صلاة الفجر التي هي صلاة كشف الشهود بعد حجاب الظلمة الوجود في أوّل العصر الذي أوّل زمان انفجار فجرك، ولا تتأخر لآخر دورك لأنّ الحكم للوقت، والتأخير له مقت، فهذي صلاة العارفين بربّهم وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة الأحكام الشرعية في جميع مشاهد شهود الربوبيّة. فإنّ كنت منهم وقمت بأدائهم فانضح، يعني اغسل بماء بحر الحقيقة ما تدنّس من برّ الشري).

رحم الله الحاجة زكية رحمةً واسعة



شكل (٩-٤): مدخل ضريح الشيخة زكيّة، رضي الله عنها.

١١ منهج الشيخة زكية في العبادة

أتينا إلي رحابك يا أميرة وزينب .وقتنا أنت المشيرة
ذكية فرعها من نسل طه قبيل البدء في قدس الحظيرة
ذكية وقتنا تهتمي عطاء وللاحسان والعطف بحيرا

كانت الشيخة زكية تتعلم علي يد الشيخ عبد الرحيم مصطفي[68] هي وزوجها الشيخ محمد المهدي وذلك بالحسين، وكانت طريقة الشيخ مصطفي مأخوذة عن الشيخ عبد السلام الأسمر، وكانت طريقته ممتدة الأثر إلي الأقطار البعيدة وقائمة علي المجاهدة بالأوراد وتلاوة القرآن والأدعية المأثورة عن الرسول ﷺ وملازمة الاستغفار. وطريقة الشيخ الأسمر تتبع الطريقة الشاذلية، لذلك كان من الضروري الحرص علي قراءة الأحزاب الشاذلية.

ويذكر أحد مريديها الدكتور نبيل عبد الجيد، الأستاذ بكلية الهندسة جامعة أسيوط أن الحاجة زكية كان لها أوراد تؤديها صباحًا ومساءً، منها قول: أستغفر الله ١٠٠ مرة ولا إله إلا الله ٣٠٠ مرة، واللهم صل علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ١٩٩ مرة.

[68] الولى الكبير سيدنا الشيخ عبد الرحيم مصطفى رضى الله عنه وأرضاه واسكنه فسيح جناته، قريته هي الدقهلية-شربين-بساط كريم الدين، وقد توفى هذا الولى الكبير سنة ١٩٤٩ ودفن فى البقيع بجوار سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ومن أبرز جوانبها العبادية الخلوة، فكانت لها خلوة أقامتها لنفسها بجنب مسجدها في بيتها وكانت تجلس فيها باليومين للعبادة والذكر، وقد حجّت الشيخة زكية وعمرها ١٨ عاما علي الجمال.

١٣ وفاة الشيخة زكية

خلقنـــا للحيـــاة وللممات***ومن هذين كل الحادثـــات
ومن يولد يعش ويمت كأن لم***يمر خيالـــــه بالكائنات
ومهد المرء في أيدي الرواقي***كنعش المرء بين النائحات
وما سلم الوليـــد من اشتكاء***فهل يخلو المعمـــر من أذاة
هي الدنيـــــا، قتال نحن فيه***مقاصد للحســــام وللقنـــاة
(أمير الشعراء أحمد شوقي)

طلبت الشيخة زكية من الفريق يوسف عفيفـــي، محـــافظ البحـــر الأحمـــر تصريحا بالدفن فى حميثرا بجوار الشاذلى، فأرسل لهـــا الموافقـــات بالتـــصريح بالدفن، فقامت بحفر قبرها وكانت تنزل فيه وتتعبد وتقرأ القـــرآن، وقبـــل وفاتهـــا بعشرة أيام اصطحبت تلميذها محمد عبد اللطيف وإمام المسجد إلى القبر وطلبـــت منهما أن يتعاونا معًا فى حملها بعد موتها وإنزالها إلى القبر بعد الصلاة عليها فى مسجد الشاذلى.

تجهزت عام ١٩٨٢م لأداة العمرة عن طريق مطار أســـوان دون دخـــول القاهرة، وجاء السائق الذى سينقلها من حميثرا إلى أسوان ولكنها ألغـــت الـــسفر فجأة، وأعطت السائق الأجرة مضاعفة وطلبت منه العودة إلى أسوان.

وعندما شعرت بالنهاية أخذت معها الحنة والمسك وخلافه لفرش القبر، وليلة الوفاة أقامت حلقة ذكر كبيرة وظلت تذكر إلى الصباح وتوضأت وصلّت.

وفى اليوم التالى طلبت من تلميذها محمد عبد اللطيف أن يحضر لها إمام المسجد، ثم قالت لهما: إننى سأموت فى هذه الليلة وطلبت أن يصلى عليها صلاة الجنازة فى فجر اليوم التالى، ثم ذهبت إلى مسجد الشاذلى وصلّت المغرب والعشاء، وبعد ذلك رجعت إلى استراحتها، وأوصت تلميذها محمد عبد اللطيف بوصايا كثيرة منها: عدم الطلب من الناس وأوصته بالعزة والكرامة والابتعاد عن

المال الحرام، وأوصته أيضًا بالأمانة والصمود عند الاختبار، وقالت له: حذار أن تطلب من مخلوق أى مساعدة، ثم ذهبت إلى قبرها ونثرت فيه الحنا، ثم رجعت إلى حجرتها وفاضت روحها إلى بارئها فى ديسمبر ١٩٨٢ م، فى نفس اللحظة التى كان من المقرر فيها أن تصل إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمرت ألا يخبر أحد بانتقالها إلي رحمة الله إلا بعد أن تدفن، وقد كان لها ذلك، ولم تترك خليفة لها، رحم الله الشيخة زكية وجازاها كل خير ورضى الله عنها وأرضاها.

جاء الشيخ محمد متولى الشعراوى إلى حميثرا للعزاء فيها وقال لتلميـذها محمد عبد اللطيف: يكفى هذه السيدة أنها هنا وأنا أتمنى أن أدفن بجوار سيدى أبى الحسن الشاذلى.

وأخبرهم الشيخ الشعراوي أن الحاجة زكية كانت أول من بلّغته بأنها ستدفن عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وحين ذهبت في احدي المرات إلي هناك رفضت العودة مع مريديها علي الرغم من أنها كانت في أتم صحة وكانت تعد العدة للسفر من أجل العمرة، وفجأة ألغت السفر وقالت لمريـديها الحاضـرين: حـان وقـت الانتقال، فتعجب الجميع ولم يفهم أحد شيئا فكانت تشعر بأنها سوف تموت قريبـا. (وفي مساء نفس اليوم طلبت منهم إحضار إمام المسجد ووصته بأن يصلي عليهـا وأخرجت بعض زجاجات الشربات من أسفل سريرها وطلبت توزيعه بعد وفاتهـا ثم أمرتهم بالانصراف جميعا من الحجرة وأخذت تتمتم بألفاظ غير مفهومـة، ثـم انتقلت في نفس اليوم إلي رحمة الله وربما كان علمها بكل مجريات هذه الأحـداث كان من أثر رؤيا أراها الله لها في منامها).

يضيف تلميذها محمد القول: إن هذه السيدة محيِّرة، لها أوقات مع الله ومـع رسول الله، وتحتاج إلى صبر فى التعامل معها، وكانت تنصحه دائمًا بمـا يـأتى: "الصبر، سعة الصدر، الامتثال، الاجتهاد، التسليم المطلق".

كانت تستقبل العصاة وترحب بهم، وكانت رحيمة لا تعنف أحدًا، وقد روت لنا حفيدتها زينب: أنها رأت بعض العصاة الذين يشربون الخمر، وهم يمرحـون، فدعت لهم وقالت: اللهم فرِّحهم فى الآخرة كما فرحتهم فى الدنيا.

وحين طلب منها تلميذها محمد عبد اللطيف البـاز شـراء ماكينـة نـور للإضاءة، قالت له: نطعم بثمنها جائع.

انتقلت إلي الرفيق الأعلي سليلة بيت النبوة السيدة زكية عبد اللطيف بدوي في الساعة العاشرة والنصف مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ من صفر سنة ١٤٠٣هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٨٢ بعد ستة أشهر ونصف من إقامتها بساحتها الطاهرة بحميثرة، وصلي علي جثمانها الطاهر بمقام سيدي أبو الحسن الشاذلي فجر الأربعاء الموافق ٣٠ صفر سنة ١٤٠٣هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٨٢.

أمّ الصلاة فضيلة الشيخ سيد جعفر إمام مسجد الفران بالقصير، وفي الساعة السابعة صباح الأربعاء الموافق ٣٠ من صفر تشرف بها برزخها المقام بساحتها الذي أمرت بإقامته وأشرفت عليه بنفسها قبل انتقالها بثلاثة أشهر ونال شرف النزول بجثمانها في البرزخ ابنها وربيبها محمد عبد اللطيف الباز، وكان الفريق يوسف عفيفي محافظ البحر الأحمر آنذاك هو الذي منح التصريح بإقامة الضريح، وقام المهندس عبد الفضيل بإبلاغ خبر انتقالها لساحتها بسيدنا الحسين لاسلكيا في العاشرة من صباح الأربعاء ذاته. وبعد يومين صدرت جريدة الأهرام القاهرية وفيها نعي التقية الورعة سليلة بيت النبوة الشيخة زكية عبد المطلب بدوي وشيعت جنازتها بقرية سيدي أبو الحسن الشاذلي حيث دفنت في رحابه كوصيتها.

ومنذ انتقال الشيخة زكية إلي الرفيق الأعلي يقام لها مولد في شهر مارس من كل عام ويفد المريدون والأحباب الذين يقدر عددهم بالآلاف من جميع محافظات مصر وخاصة من محافظات الوجه البحري، ويحتفلون بذكراها بتلاوة آي الذكر الحكيم، ويتباري المنشدون في إبداعاتهم الفنية، ويشهد وادي حميثرا القابع في جنوب الصحراء الشرقية ثلاث ليال من الحب الإلهي.

رحم الله السيدة زكية عبد المطلب سليلة بيت النبوة التي وهبت حياتها لخدمة الفقراء والمساكين وكما أقامت ساحة في درب الطبلاوي بحي الحسين بالقاهرة أقامت قرية في وسط الصحراء القاحلة بجوار ضريح شيخها القطب الرباني أبو الحسن الشاذلي، وشاءت إرادة الله أن تتسع المنطقة وتصبح احدي قري محافظة البحر الأحمر.

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »

« صدق الله العظيم »

لبت نداء ربها بعد حياة حافلة بالبر والتقوى

الأم الحنون السيدة البارة
سليلة
بيت النبوة
الحاجة
زكيـــة
عبدالمطلب
بـــدوى

شقيقة المرحوم الشيخ عمر عبد المطلب بدوى واللواء على بدوى والحاج محمد عبد المطلب بدوى وعبد المطلب بدوى المستشار القانونى بالرياض. ووالـدة حرم الحاج محمود شعبان ببنك فيصل الاسلامي بالقاهرة وقريبة ونسـيبة جميع عائلات ميت مرجا سلسيل وعائلات الاشراف بميت سلسيل وبرمبال ومنية مجاهد ونبروه وقداح وعاشور بميت سلسيل والهوارى بالكفر الجـديد وعبد الرحمن بابو كبير والشعراوى بالزقازيق وقراعة باسيوط وقنـديل ببساط كريم الدين ودرويش بالمطرية والنادى بكفر سقر وعبد الباسط وشادى والشربينى بدمياط وسيدهم بمحـلة إنجاق والشناوى بالمنصورة.
وشيعت الجنازة بمدينة سيدى ابوالحسن الشاذلى — حيث دفنت فى رحابـه كوصيتها.

وستقام ليلة المأتم اليـوم السبت ١٢/١٨ بساحة اهل البيت رضى الله عنهم ٢٩ درب الطبلاوى بالجمالية.

شكل ( ): نعي الشيخة زكية الذي نشر بجريدة الأهرام الغراء بعد وفاتها بيومين بتاريخ السبت ١٨ ديسمبر ١٩٨٢م

١٣ شعر في مديح بيت النبوة

يوجد في ساحة الشيخة زكية رضي الله عنها وأرضاها وفي غرفة نومها وفي مقامها عدد كبير من القصائد الشعرية بعضها مجهول الشاعر والبعض موضح به اسم الشاعر وتاريخ القصيدة، وقد قمت بنسخ معظم هذه القصائد وأعدت عرضها في هذا الكتاب دون أي زيادة أو نقصان.

١- في مدح السيدة زكية

يا بنت عبد المطلب	يا زكيّة من خير نسب
علوتي في غرف الكمال	صدقتي ستي في المقال
زكية زكّي القلوب	وتداركي عند الخطوب
يا نســل من عبد مناف	والحب ملأ الشغاف
والأصل ساداتي الأولي	الغر من رقو للعلي
والأب حيدر زي المعال	والأم فاطمة الكمال

وقد حباكي أبو الحسن بالقرب كم نلتي المنن

ومقامكي فيه الدلال مدد به ميم دال دال

ومقامكي فيه الدلال يكسوه هيبة وجلال

من دوحة البيت الكريم من نسل مختار رحيم

٢- في مدح آل البيت

فلذات كبد المصطفي هم آل بيت الأصطفا

للحب قد رفعوا الشعار يا نعم قربي والجوار

أقرب إلينا من الوريد وعمر تجاه يوم الوعيد

بالعزم قد حلفوا اليمين ألا يفرقوا المسلمين

واقبل سلامي في الختام علي النبي بدر التمام

وصلي رب علي الهدي الهاشمي بحر الندي

الجد طه المصطفي يا نسل سادات العرب

يا بنت زهرة خير آل يا سيدة زيني الكرب

يا حبيبتي ضيء الدروب زكية زكي الطلب

في الحشر عزي لا أخاف للخير أنتم السبب

ومدحهم خمر حلا والخمر نور بقلب صب

يا نسل سادات الرجال — لا ينقطع لهم حسب

في القلب وازع لهم — وحسنهم زانه الأدب

وديارة نعم السكن — في حميثرا نلتي الإرب

لمن آتي شيم آل الـ — فيح النبي طه أصب

لمن أتي حبل اتصال — لله يدنو من قرب

هم حجتي عند العظيم — لا يفوتوا من لهم انتسب

هم زمزم لنا نبع ماء — لا غيرهم يسكن قيب

هم سادتي أهل الوفا — لا غيرهم يشفي النصب

فهم غياث من استجار — هيا استعن بهم تجب

فالزم حماهم كن وديد — زادوك ودا لا عجب

وسيأتوا بالنصر المبين — هم وعد ربي اقترب

الروح والقلب فدي — سبحان ربي من وهب

يا رب بلغني المرام — وأري الحبيب المرتقب

٣- في زيارة سيدي الشاذلي والشيخة زكية

أتيت رحابكم أنتم مرادي — أتيت وعندكم مني فؤادي

أتيت وقد علا قلبي سواد ومن ذا غيركم يجلي سوادي

رسول الله قد أذنبت حتى وصار الذنب دأبي واعتيادي

ولكن يا حبيب الله حاشا يكون الذنب عن أثر العناد

وحاشا أن أضام لديك طه وجودك سيدي سند العباد

وقالوا عادة السادات تأبى ترد عبيدهم دون ازدياد

فلما اسودت الدنيا بعيني ولم أر في الورى غير السواد

وغاب الصبح مني تحت ليل وظلت أهيم من واد لوادي

أتيت رحابكم أرجو قبولي خويدم نعلكم يا خير هادي

أنادي يا رسول الله خذني إليك فقل قبلنا من ينادي

فقد قلتم رسول الله قولا يهيم به ويحدو كل حادي

بأن المرئ إن أهداك يوما كراعا لا ترد له الأيادي

وقد أهديكم روحي وجسمي وصوتي فيك عطر كل نادي

أتجبر خاطر الثقلين جمعا وعندي جبركم يدمي فؤادي

٤- قصيدة في رياض الصالحين

مهداة

إلي الطاهرة الولية...التقية النقية...العارفة بالله تعالي

سيدتنا الحاجة زكية عبد المطلب بدوي

صاحبة المقامات العلية

من أبناء المنزلة بالدقهلية والكائن ضريحها بجوار القطب الغوث سراج أولياء عصره سيدي أبي الحسن الشاذلي بمنطقة حميثرا بوادي عيذاب بمحافظة البحر الأحمر بمصر الغالية

١ أنعـــم بقـــدوتنا "الزكية" إنها ... بابُ لتجـلِّي الوِصالِ ربَّهـــا

٢ تَخِذَتْ حياةَ الصالحين شعَارهَــا ... فَسَمَت بتقواها، وفاح ريجُهـــا

٣ وتخلَّدت أعمالُهـــا من الوري ... وتألقت بجهادهـــا أسرارهـــا

٤ وقد اهتدي بحديثِها وصلاحِهـــا ... أهلُ الطريقةِ من خلالِ ضيائِهـــا

٥ "بحُمَيْثِرَا" يزهُو المقامُ بنورِهـــا ... وكذا بقاهرة المُعِـزِ عبيرُهـــا

٦ بجوارِ مولانا الحُسين رِحَابُهـــا ... وكذا (أبي الحَسَن) النَّسيب ثِوَاؤُها

٧ من عاش يخلص في الدعاء لربه ... فَلَــهُ المقامـاتُ الرفيعــةُ كلُّهـا

٨ ولنـا بقُدْوَتِنَـا "الزكيَّـة" منهج ... في صَبرِها وسُلوكِـها وجُهُودهــا

٩ ذَاعَت منَاقِبُهـــا فمَا من سَاحَـة ... إلا وفيهـــا ذُكْرُهـــا وخِلالُهـا

١٠ اللهُ بَارَكَهَـــا وبارك جَمْعَهـــا ... كل علــــي التقوي هامَ بِحُبِّهـــا

١١ أبْنَاؤُهـــا ساروا علي منوالهـــا ... في حب آل البيت هاموا مثلهـــا

١٢ واللهُ يُعطي من يَشاءُ بفَضلِـــه ... ويمُد أغْصَانَ العِنايةِ نحْوَهـــا

١٣ إنّ الولايــَة إنْ أتَتْ فطريقُهـــا ... الإيمـــانُ والتقوى. وذلكَ روُحُها

١٤ أنْعِمْ بقدَوتِنـــا "الزكّيةِ" مَنْ بهـــا ... تُقْضَى الحَـــوائجُ للعباد ببابهـــا

١٥ عَاشَتْ بصِدْقٍ بينَ أقْطَابِ الهُدَى ... في مِصْرَ، فـازدادَ الحنانُ بقَلْبِـها

١٦ فتعلَّقَــتْ بالحُــبّ للزهّــاد والـ ... عُلَمَــاء أعْــلام الهدايــــة ذاتِهَا

١٧ وَتنزّهَتْ عَنْ كُلّ أغْراضِ الهَوَى ... عَاشَــتْ تُــرَبّى السّالِكِين بزُهْـدِهَا

١٨ عَاشَــتْ بِنَجْوَاهَـا تزكــى أُمةً ... كَـــالمتقينَ اللهَ مِـــنْ أسْـــلافِهَا

١٩ حتّى دَعَتْ بالذكرِ والهدْيِ القَوِيــ ... م لربّهـــا فتحققـــتْ آمالُهـــا

٢٠ وَسَمَــتْ بمنـــهَجِهَا سُمُــوٌّ تألقٍ ... مِنْ حُلْــوِ فَيْضٍ مِنْ لَوَامِــعِ جيلِهَا

٢١ نَحْوَ "الْعُروسِي" مَنْهَجًا وطريقــةً ... "للـــشاذلِى" وشَـــيْخِهِ. وردٌ لَهَا

٢٢ والشيخ "زرُّوقٍ" كَذَا "عَبْدِ السلام ... الأسْمَــرِ" ازدَانَــتْ بهم أورَادُهَــا

٢٣ مَعَ بَعْلِهَا "الْمَهْدِى" وأصْحابِ التُقَى ... والعارفينَ الواصِلينَ أُولِي النُّــهَى

٢٤ هِيَ نفْحَةٌ مِنْ نَسلِ "طهَ المصطَفَى" ... قَــدْ عطــرَتْ وجــداننَا بَرَكاتُهــا

٢٥ فتكَــاثَرَ الــروادُ نَحْــوَ طَرِيقِهــا ... وغــدَوْا بِمَنــهَجِهَا جُنُــودَ لِوَائِهَــا

٢٦ وَجَدُوا الْكَرَامَـــةَ والعِنَايةَ عِنْدَهــا ... مِــنْ حُبِّهَا للــدِّينِ، مِنْ إخْلاَصِهَــا

٢٧ فتــأدبّــوا، فِي قُــدْوةٍ وتعلّمــوا ... عَنْــهَا طَرِيقَتَــهَا، وطيــبَ قَوْلِهَــا

٢٨ أكْرِمْ بمَنْ ظَهَرَتْ ظُهوراً مُشْرِقًا ... بالزّهْــدِ والتقْوى وخَالِص ذِكْــرِهَا

٢٩ وَلآلِ بيْتِ "المُصْطفى" أهْدَتْ لَهُمْ ... كُــلَّ المحبّـــةِ والْــولاءِ بقلْبِــهَا

٣٠ ولمن يحــب الدين فالدنيــا لــه ... زاد لــدار الخــلد يحيــا سعدهــا

٣١ ولنا بقدوتنـــا "الزكيــة" نفحــة ... فيهــا الوصـــال وعِشْقُنا رَمْزٌ لها

٣٢ اللهُ أعطَاهـــا الكرامَـــةَ كلَّهـــا ... فَلِذَ الرِّحابُ "الــشاذلى" مَقَامَهــا

٣٣ فِي الْخُلدِ والْفِردَوْسِ فِي رَوْضَاتِها ... فهى الحسيبةُ وهى زَيْنَبُ عَصْرِها

٣٤ هَذى الْقَصيدةُ فَيْضُ خَاطِرِ "مُنْجدٍ ... شَادى" الذى مَازالَ يهْتِفُ باسْمِهَــا

٣٥ مَرْفُوعةٌ لجنَابِهَــا طولَ المَــدَى ... فعَسَى نَنالَ دُعَاءَ مَــنْ يَشْدُوا بهــا

٣٦ إنّ الــصلاةَ على الــنبيِّ وآلــهِ ... بـــابُ العـُـلا للعـــارفينَ بفضْلِهـــا

شِعر الدكتور مُنجد السيد عبد الغني شادي أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف في عشية يوم الثلاثاء ٨ سبتمبر ٢٠٠٣م الموافق اليوم الرابع من شهر رجب ١٤٢٤هـ.

ملحوظة: بيت الترديد هو البيت الأخير رقم "٣٦".

٥- يا أميــــــــــــــــرة

(من فيض الحضرتين للعارف بالله الشيخ الحاج أحمد أبو الحسن شيخ العصبة الهاشمية رضي اله عنه وأرضاه)

أتينا إلي رحابك يا أميرة ... وزينب .وقتنا أنت المشيرة

ذكية فرعها من نسل طه ... قبيل البدء في قدس الخطيرة

ذكية وقتنا تهتمي عطاء ... وللاحسان والعطف بحيرا

وسيدة النساء بلا جدال ... وبالدرب الطويل أنت خبيرا

تفوق علي الفحول في المعالي ... وترقي بفضلها فهي البصيرا

حسين جدها سبط النبي ... كرام الحي أعلام العشيرا

حباها المصطفي فضلا وعلما ... لآلئ بها العين قريرا

عيون في القلوب بها تراك ... فحاذر عندها نور البصيرا

إذا صممت يصافحك يداها ... وإن نطقت فعن طيب السريرا

حكيمة في الفعال وفي المقال ... رحيمة القلب همتها كبيرا

وتكرم كل من يأتي إليها ... وتجبر من تري نفسه كسيرا

سقاها الآل من كأس المحيا ... كسوها من التقا أغلي حريرا

وبالشرف المؤيد عمموها ... وفي تلك العمامة تعم كثيرا

زهدت في السوا فأجلسوكي ... علي العرش مشرفة جديرا

علوت من الهدي أعلي مقام ... جنود الحق من حولك نصيرا

فيا خير البرايا أدر علينا ... كؤوس الراح صافية منيرا

لعل قلبي يسعد برضاكا ... وتأتي بالرضا رسل بشيرا

فقد طال اشتياقي إلي لقاكا ... فعجل باللقاء إني فقيرا

أناشدك الكريم يا خير حب ... تضمني إلي تلك المسيرا

حبيب الله خذني إليك مني ... فلا يبقي لي إلاّك زخيرا

شريعة ربنا حب النبي ... وتربو بحبه كل صغيرا

فثقل وزنك بحب النبي ... وحب الآل ما لها نظيرا

فقد جئت الرحاب بحب قلب ... مشوق لا يري إلا الخطيرا

ولي نعمتي مسك الختام أمام القوم عربينا نذيرا
وكعبة قبلتي أحمد أمامي ربيب حضرة عنها بشيرا
ألوذ بالحمي وأموت صبا فمالي بالسوي لا أريد نميرا
فمن شهد الحبيب فكيف يرضي بغير المصطفي إنسا سميرا
وتلك عهود من ربي وثيقة فول وجهك قصد القديرا

٦- قصيدة في مدح الرسول ﷺ

شعر د. سيد أبو الإسعاد

إذا ما شِئتَ في الدَّارين تسْعَد فأكثر من الصلاة علي محمد
وإن شئتَ القبُولَ في الدَّعواتِ فتختـم بالصّلاةِ علي محمد
فلا صـومٌ يَصِيـحُ ولا صَلاةٌ لمن تَرَكَ الصلاة علي محمد
وإن كانت ذنوبُكَ ليس تُحْصي تُكفَّـر بالصَّلاة علي محمـد
فما تتضـاعفُ الحسنـاتُ إلا بتِكـرار الصّلاةِ علي محمد
وعند المـوت تري أمـورًا تَسُـرك بالصلاة علي محمد
وعند القبـرِ تحـظي بالأماني وتُرْحَـمُ بالصلاة علي محمد
ولا تخْشَي من المَلَكَين رُعبًـا إذا سألاك قُل لهُمـا محمـد
رسـولُ الله حقًـا اتَّبعْنـا وآمنّـا وصدَّقْنـا محمـد

٧- في مدح سيدي أبو الحسن الشاذلي

أضاءت بحب الشاذلي قلوب بها من هوى ذاك الجناب ندوب
ففازت بأشتات المسرة والمن وطـالع سعد ما اعتراه غروب
يحن إلى أعتابـه كل مسلم منيب فتحلو رحلـة وركوب
ويرفل في أمداده كـل عارف يكـاد بحب الشـاذلي يذوب
ألا ليت شعري هل أزور مقامه فتمحى خطيئـات لنا وذنوب
وألقى من الفتح المبين نسائما لهـا من رحاب الشاذلي هبوب

١٤ المراجع

عبير عبد الرحمن محمد حسين (٢٠٠١): "دور المرأة في التصوف الإسلامي". رسالة ماجستير مقدمة للمناقشة، كلية دار العلوم جامعة القاهرة

(**أبى على الكوهن:** طبقات الشاذلية الكبرى ص ٥٩-٦٠ (طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان)،

د عبد الحليم محمود: عبد السلام بن بشيش ص ٨ وما بعدها (طبعة دار المعارف).

ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) شهاب الدين ابو عبد الله . معجم البلدان (دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م) .

احمد تيمور قبر السيوطي وتحقيق موضعه (طبعة المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٦هـ).

عصر السيوطي (ضمن ابحاث عن جلال الدين السيوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م)

مجلة نصف الدنيا-السنة ٢٠١١-العدد١١٢١-الجمعة ٥ أغسطس ٢٠١١-رئيس مجلس الإدارة -لبيب السباعى-رئيس التحرير-أفكار الخرادلى)

السيوطى: حسن المحاضرة ج١ ص ٢٩٠-٢٩١ (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار الفكر العربى ، مصر ، ١٤١٨ هجرية /١٩٩٨ م) .

ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ص ٣٤٠ (تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٤هجرية /١٩٨٤م) ، العيدروسى : النور السافر فى أخبار القرن العاشر ص ٥١ (طبعة دار الكتب العلمية . .بيروت الطبعة الأولى . ١٤٠٥ هجرية)

Nicholson, R.A.,A Literary of the Arabs (Cambridge , 1962) .

Women & Sufism, Camille Adams Helminski

المؤلف في سطور

محمد رجائي / جودة الطحلاوي

- من مواليد قرية الغوابين مركز فارسكور محافظة دمياط (الدقهلية سابقا) في أول سبتمبر ١٩٣٦م.
- حاصل علي بكالوريوس هندسة المناجم (شعبة جيولوجيا التعدين) من كلية الهندسة بجامعة القاهرة يونيو ١٩٥٨م.
- مهندس بمصلحة الأبحاث الجيولوجية والتعدينية (المساحة الجيولوجية المصرية)، ١٩٥٨/١٩٥٩م.
- حاصل علي الدكتوراه في الجيولوجيا من المعهد الفيدرالي التكنولوجي العالي ETH بزيورخ، سويسرا عام ١٩٦٥م.
- أستاذ جيولوجيا التعدين، قسم هندسة التعدين والفلزات، كلية الهندسة، جامعة أسيوط من مايو ١٩٧٤م.
- أستاذ بقسم الجيولوجيا، كلية العلوم بجامعة الكويت (سبتمبر ١٩٧٤ – يوليو ١٩٧٩م).
- وكيل كلية الهندسة لشئون التعليم والطلاب، جامعة أسيوط، (أكتوبر ١٩٧٩- أكتوبر ١٩٨٣م).
- عميد كلية الهندسة، جامعة أسيوط بالانتخاب ثلاث دورات (نوفمبر ١٩٨٣ – يناير ١٩٩٠م).
- نائب رئيس جامعة أسيوط للدراسات العليا والبحوث (يناير ١٩٩٠ – يوليو ١٩٩١م).
- رئيس جامعة أسيوط (أغسطس ١٩٩١م – يناير ١٩٩٦م).
- محافظ أسيوط (يناير ١٩٩٦م – أكتوبر ١٩٩٩م).
- أستاذ متفرغ بقسم هندسة التعدين والفلزات، كلية الهندسة جامعة أسيوط نوفمبر ١٩٩٩م.
- أستاذ غير متفرغ في ذات القسم من أول سبتمبر ٢٠٠٦م.
- له أكثر من ٨٠ بحثًا في التعدين والجيولوجيا والإدارة.
- ألف واشترك في تأليف أكثر من ٢٥ كتابًا باللغات العربية والانجليزية، وكتاب نشر باللغة الألمانية، وكتاب نشر باللغة الرومانية، بالإضافة إلي أكثر من ٢٥ مقالا في الجرائد والمجلات المصرية.
- عضو نقابة المهندسين المصرية من ١٩٥٩م.
- حاصل علي الماديليا الذهبية من نقابة المهندسين عام ١٩٨٦م.
- رئيس لهيئة الفولبرايت الأمريكية المصرية للتبادل العلمي (يناير ١٩٩٢- يناير ١٩٩٦م).
- رئيس مجلس إدارة شركة أسمنت أسيوط من ١٩٩٢ إلي ١٩٩٦م.

- عضو الجمعية الجيولوجية السويسرية بزيورخ سويسرا.
- عضو الجمعية الجيولوجية المصرية من ١٩٦٥م.
- عضو مجلس بحوث الثروة المعدنية بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة من١٩٨٠ حتي ٢٠٠٠م..
- عضو مجلس إدارة المساحة الجيولوجية المصرية من ١٩٩١ إلي ٢٠٠٠.
- عضو الجمعية العامة للشركة القابضة للصناعات المعدنية من ٢٠٠٠م.
- عضو الجمعية العامة للشركة المصرية للسكر والصناعات التكاملية من ٢٠٠٨م.
- رئيس منتدى العلوم والتكنولوجيا بالقاهرة من ٢٠٠٠م.
- عضو مجلس علماء الثروة المعدنية (وزارة البترول والثروة المعدنية)، من يوليو ٢٠٠٦م.
- عضو الأكاديمية المصرية للعلوم من يونيو ٢٠٠٨م.
- رئيس الجمعية العربية للتعدين والبترول من مارس ٢٠٠٨م.
- حاصل علي الميدالية الذهبية التقديرية في عيد العلم من جامعة أسيوط ٢٠١٠م.
- عضو المجمع العلمي المصري من ابريل ٢٠١١م.

كتب للمؤلف عن التصوف وأولياء الله الصالحين

1. "**أبو الحسن الشاذلي**" (٢٠٠٧): **رحلة الاغتراب من زغـوان إلـي عيذاب، الرجل، المكان، الزمان**" الطبعة الثانية– منقحة وموسـعة، الناشر مكتبة جاد الكبرى بالفجالة، القاهرة.
2. "**الكعبة المشرفة والحجر الأسود**" (رؤية علمية) (٢٠٠٨): الطبعـة الأولي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، مشترك.
3. "**ثروة دولة الكنوز في وادي العلاقي**" (٢٠٠٩): الطبعة الأولي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
4. "**عبد الرحيم القنائي**" (٢٠٠٩): ساكن قنا، ذو الكرامات، صـاحب الحلقة والمحراب "للتواصل مع النبي". جامعة أسيوط للنشر.
5. "**عيذاب**" (٢٠١٠): دراسة تاريخية وجغرافيـة وجيولوجيـة لثغـر عيذاب علي البحر الأحمر. دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٣ ص
6. "**أدعية من القرآن والسنة**" (٢٠١٠): جامعة أسيوط للنشر.
7. **أبو الحجاج الأقـصري** (٢٠١١): (العابد – الزاهد – شيخ الزمان)، جامعة أسيوط للنشر، ١٤٢ صفحة.
8. **السلطان الفرغل** (٢٠١١): أبو مجلـي، جامعـة أسـيوط للنـشر، ١٠٠.صفحة.

رقم الإيداع ٢٠١٢/٩٧٨٤

الترقيم الدولي ٢-٧٩٣-٧١٦-٩٧٧-٩٧٨

مطابع جامعة أسيوط

الشيخة زكية عبد المطلب بدوي



د. محمد رجائي جودة الطحلاوي

أستاذ جيولوجيا التعدين جامعة أسيوط

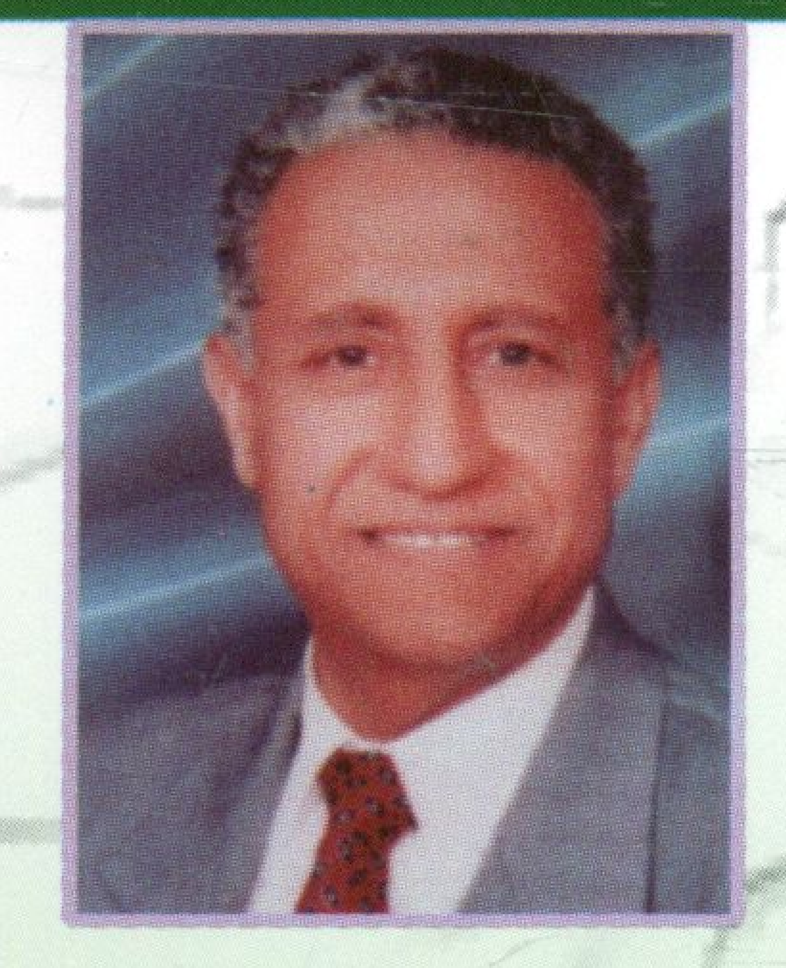
"اللهم اجعل طعامي لهم شفاء": هذه هي كلمات العارفة بالله الحاجة زكية عبد المطلب بدوي، وهي آخر عهدنا من العارفات في العصر الحديث.

يحفظ لنا التاريخ الإسلامي سيرة عدد كبير من النساء المتعبدات، وإن كانت سيرة عاشقة الحب الإلهي رابعة العدوية هي الأشهر إلا أن نماذج أخري من النساء جديرة بأن تحظي بقدر من الاهتمام. كانت (رابعة العدوية) أول كائن بشري يتحدث عن الوقائع المتعلقة بالصوفية وباللغة التي يفهمها كل واحد، وبالرغم من أنها عانت صعوبات عديدة في سنوات عمرها الأولى فنقطة انطلاقها لم تكن بدافع الخوف من جهنم ولا بدافع الرغبة لبلوغ الجنة، لكن كان الحب لله فقط.

لا شك أن سيرة الشيخة زكية عبد المطلب تمثل نموذجًا يمزج بين الصورة الشعبية للعارفة بالله وجرأة المرأة الزاهدة فى الإسلام وإقدامها، فقد اختارت الشيخة زكية رضي الله عنها أن تنفق ميراثها على الخير، وبنت مسجدًا لها وساحة فى قلب الصحراء الشرقية قبل وفاتها لخدمة سكان الصحراء (العبابدة) جوار مقام القطب الصوفى أبى الحسن الشاذلى، وهو ما خفف من وحشة المكان هناك الذى يرتاده آلاف المتصوفة من جميع أنحاء مصر". كانت، رضي الله عنها، زاهدة عابدة معتزلة للدنيا وبالرغم من أنها لم تكن متفقهة في الدين ولم تترك إنتاجًا أدبيًا مثل الصوفيات الشهيرات فإن مريديها لم يأتوا لزيارتها لطلب العلم بل لطلب البر والخير والسكينة التي تبثها الطاقة الروحية التي كانت تمتلكها. ثم إن الشيخ الشاذلى نفسه الذى تنتسب إليه الطريقة الصوفية لم يترك كتبًا، بقدر ما ترك مريدين.

كانت الحاجة زكية لا تركن إلى الكرامات ولا تحب التحدث عنها، فإن ذلك لأهل البدايات فى الطريق، وكانت تقول إن الكرامات كلعب الأطفال لا يجب التمسك بها، وكانت تكره الظهور، وقد كُفَّ بصرُها فى السنين الأخيرة من عمرها وكانت صابرة، وهذا ما حدث لشيخها أبى الحسن الشاذلى، فقد كُف بصره، ولكنه شارك رغم ذلك فى معركة المنصورة ضد الصليبيين وكان يقول (انقلب بصرى فى بصيرتى فأصبحت كلى مبصرًا بالله).

الشيخة زكية عبد المطلب بدوي



د. محمد رجائي جودة الطحلاوي

أستاذ جيولوجيا التعدين جامعة أسيوط

★ اللهم اجعل طعامي لهم شفاء★: هذه كلمات للعارفة بالله الحاجة زكية عبد المطلب بدوي، وهي آخرُ ما عهدنا من العارفات القانتات في العصر الحديث.

ويحفظ لنا التاريخ الإسلامي السير العاطرة لعددٍ كبير من النساء المتعبدات، وإن كانت سيرة عاشقة الحب الإلهي رابعة العدوية هي الأشهر فيما سمعناه إلا أن نماذج أخري من النساء جديرة بأن تحظي بقدر أكبر من الاهتمام. كانت رابعة العدوية من أوليات الصالحات اللاتي يتحدثن عن الوقائع المتعلقة بالصوفية وبلغة يفهمها كل إنسان، وبالرغم من أن الشيخة زكية عانت صعوبات عديدة في سنوات عمرها الأولى، إلا أن نقطة انطلاقها لم يكن دافعها الخوف من عذاب النار ولا بدافع الرغبة لبلوغ الجنة، لكنه كان حبا لله فقط.

لا شك أن سيرة الشيخة زكية عبد المطلب تمثل نموذجًا فريدا يمزج بين الصورة الشعبية للعارفة بالله وشجاعة المرأة الزاهدة ، واختارت الشيخة زكية، رضي الله عنها، أن تنفق ميراثها على الخير، وقبل وفاتها بَنت مسجدًا لها وساحة فى قلب الصحراء الشرقية لخدمة سكان الصحراء (العبابدة) بجوار مقام القطب الصوفى أبى الحسن الشاذلى، وهو ما خفف من وحشة المكان هناك الذى يرتاده آلاف المتصوفة من جميع أنحاء مصر . كانت، رضي الله عنها، زاهدة عابدة معتزلة ... رغم من أنها لم تكن متفقهة في الدين، ولم تترك إنتاجا أدبيًا مدونا مثل الصوف... أن مريديها لم يأتوا لزيارتها لطلب العلم، بل لطلب البر والخير والسكينة التي تب... التي كانت تبثها في نفوسهم، ثم إن الشيخ الشاذلى نفسه الذى تنتسب إليه ال... لم يترك كتبًا، بقدر ما ترك من نور قلب وصفاء روح للمريدين.

كانت الحاجة زكية لا تركن إلى الكرامات ولا تحب التحدث عنها، وكانت تقول ... الأطفال لا يجب التمسك بها، وكانت تكره الظهور، وقد كفَّ بصرُها فى سنو... وكانت صابرة، وهذا ما حدث لشيخها أبى الحسن الشاذلى، الذي كف بصره، لكن... فى معركة المنصورة ضد الصليبيين وكان يقول (انقلب بصرى فى بصيرتى فأصبحت كلى مبص... بالله).

